بيان القرآن في سورة الرعد

البيان القرآني الذاتي

المؤلف: أنور غني الموسوي

دار أقواس للنشر 2026

بيان القرآن في سورة الرعد

البيان القرآني الذاتي

د. أنور غني الموسوي

بيان القرآن في سورة الرعد

البيان القرآني الذاتي

د. أنور غني الموسوي

دار أقواس للنشر

العراق 2026

المحتويات

النظرية 2

مدخل تعريفي: منهج البيان القرآني الذاتي بالخماسية النسقية 3

الفصل الأول: مفاهيم وأسس 12

الفصل الثاني: المرتكزات والمبررات 19

الفصل الثالث: الأبعاد الإنسانية والمدارات الحضارية 26

الفصل الرابع: القيمة المعرفية والنفعية للمنهج 33

التطبيق 43

آيات القوة الكونية والوحي (١-٤) 45

عجز المنكرين وعلم الله المحيط (٥-١٠) 56

الحفظ الإلهي وسنة التغيير (١١-١٣) 67

دعوة الحق وعجز الباطل (١٤-١٧) 77

جزاء الاستجابة وعاقبة الإدبار (١٨-٢٤) 88

نقض العهود ومفاتيح الرزق (٢٥-٢٧) 99

طمأنينة القلوب وعظمة القرآن (٢٨-٣١) 110

الاستهزاء بالرسل وعاقبة المكر (٣٢-٣٥) 121

الاستمساك بالوحي ومواجهة الأحزاب (٣٦-٣٩) 131

وعيد المكذبين وشهادة الله (٤٠-٤٣) 140

النظرية

مدخل تعريفي: منهج البيان القرآني الذاتي بالخماسية النسقية

يُمثل منهج البيان القرآني الذاتي بالخماسية النسقية استراتيجية استنطاقية وإبستيمولوجية متكاملة، تهدف إلى إعادة الاعتبار لسيادة النص القرآني وتجلية مقاصده من داخله حصراً. ينطلق المنهج من رؤية نقدية ترى أن التراكم التفسيري عبر القرون قد وضع حجباً بين القارئ وبين النص، مما جعل القرآن يُفهم من خلال "أقوال المفسرين" لا من خلال "بيانه الذاتي". لذا، يعتمد هذا المنهج على "خوارزمية إجرائية" صارمة مكونة من خمس مراحل تكاملية، تبدأ بـ (التيسير) لترميم الانقطاعات السياقية، مروراً بـ (النثر) لصهر النص في وحدة بنائية، ثم (المعاني) لاستنفاد الطاقات الدلالية، فـ (الأحكام) لصياغة النظم السلوكية، وصولاً إلى (القواعد) التي تجرد السنن الكونية والقوانين الوجودية. إن الهدف الأسمى لهذا المنهج هو استعادة الأبعاد الإنسانية والحضارية للوحي، وتقديمه كمنظومة معرفية

وقانونية مستقلة، قادرة على تفسير الواقع والاشتباك معه دون الحاجة إلى إحالات تاريخية أو تأويلات خارجية قد تخرج النص عن مساره الإلهي.

أولاً: الركائز الفلسفية للمنهج (البيان الذاتي)

يقوم المنهج على أسس علمية تتقاطع مع مبدأ التبعية التفسيرية، وتستند إلى حجج وبراهين جوهرية:

1. الكفاية البيانية والاستغناء بالذات

يرتكز المبدأ الأساسي هنا على أن القرآن نص "مكتفٍ ذاتياً" من الناحية البيانية. والحجة الدامغة في ذلك هي الوصف الإلهي للقرآن بأنه {تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ}؛ فمن لوازم المنطق أن النص الذي يبين حقائق الوجود والشرع لا بد أن يكون هو نفسه مبيناً لذاته وقواعد فهمه. إننا هنا لا نحتاج إلى "تفسير" بمعنى إضافة معنى من خارج النص، بل نحتاج إلى "إظهار" للطاقات البيانية المودعة في نظمه. هذا الاستغناء بالذات يحرر الوحي من الارتهان للروايات التاريخية أو الترف اللغوي، ويجعل

النص هو المرجع الأول والأخير في تحديد مراده، مما يمنحه صفة الإطلاقية والسمو فوق المتغيرات الظرفية.

2. من "التفسير" التقليدي إلى "الاستنطاق" المعرفي

بينما يعتمد التفسير التقليدي في كثير من أطروحاته على "الإسقاط الذاتي" أو "الخلفية القبلية" للمفسر، فإن "البيان الذاتي" ينتقل بنا إلى مرحلة استنطاق البنية النصية. الحجة هنا هي أن النص القرآني يمتلك "نظاماً إشارياً" داخلياً بالغ الدقة؛ فالبحث عما يسمى "المسكوت عنه" ليس ضرباً من الظن أو الرجّم بالغيب، بل هو استجابة علمية لضرورات يقتضيها النظم اللغوي والمقاصدي. إن الاستنطاق يعني طرح الأسئلة الوجودية والواقعية على النص لينطق هو بإجاباته، مما يجعل المعنى يتدفق كناتج طبيعي للاشتباك مع الوحي، لا كإقحام خارجي يُفرض على الآيات.

3. النص ككائن حي ومنظومة حاكمة

يتجاوز المنهج النظرة الساكنة للآيات باعتبارها مفردات لغوية جامدة، ليتعامل مع القرآن كـ "نسق حي" يتميز بالقدرة على

التوليد الذاتي للمعنى. هذا النسق يربط برباط عضوي بين عالم الغيب (الوحي) وعالم الشهادة (الواقع المعاش)، انطلاقاً من مبدأ "الهيمنة" القرآني. فالمجتمع والكون والحضارة هم "المفسَّرون" بالقرآن، وليس العكس. إن النص هنا هو الذي يمتلك المعايير الحاكمة التي تفسر حركة التاريخ وتوجه مسار الإنسان، مما يعيد للوحي دوره كمرجعية معرفية مهيمنة تفكك شفرات الواقع المعقدة.

4. التحول نحو "اليقين البياني"

يسعى المنهج إلى نقل المتلقي من "ظنية التفسير" إلى "يقين البيان". فالاعتماد على تعدد الأقوال والاختلافات المذهبية غالباً ما يورث الحيرة ويشتت اليقين بالمراد الإلهي. أما عندما يتحدث النص عن نفسه من خلال أدواته الذاتية، فإن الحيرة تتلاشى لصالح "الحق" الذي وصف الله به كتابه. هذا التحول ينقل القرآن من كونه نصاً "مُفسَّراً" (بصيغة المبني للمجهول، أي خاضعاً لسلطة المفسر) إلى كونه نصاً "مبيناً" (بصيغة

الفاعل، أي ممارساً لسلطته في الهداية والوضوح)، مما يحقق مقصد الوحي في كونه هدىً ونوراً لا لبس فيه.

ثانياً: المستويات الإجرائية (الخماسية النسقية)

عبر هذه المستويات الخمسة، يخضع النص لعملية معالجة نسقية تحوله من حروف مسطورة إلى قوانين وجودية حاكمة:

1. مرحلة التيسير: (ترميم الفراغ السياقي)

التيسير في هذا المنهج ليس تبسيطاً سطحياً، بل هو فعل "هندسي" دقيق لسد الفجوات التي يتركها الإيجاز القرآني (المقدرات والمضمرات). القرآن نص يعتمد "الاقتصاد اللغوي"، ومرحلة التيسير تقوم بإعادة تركيب "الروابط السياقية" التي تجعل الآيات تتدفق كبنية واحدة بلا انقطاع. الحجة في ذلك هي قوله تعالى: {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ}؛ فالتيسير هو المفتاح الإجرائي الأول الذي يمنع تشتت المعنى ويجعل السياق متصلاً، وهو ما نسميه "الترميم السياقي" الذي يمهد للفهم الشمولي.

2. مرحلة النثر: (السبك والتحويل البنائي)

تأتي هذه المرحلة لتعيد صياغة النص (الآية مضافة إليها المقدرات السياقية) في قالب نثري أدبي مسترسل. الهدف هنا هو كسر الفواصل التحليلية بين الكلمات والآيات وتحويلها إلى "كتلة دلالية موحدة". إن نثر النص القرآني يسمح للعقل البشري باستيعاب "الوحدة الموضوعية" والجمالية للوحي كبنية متماسكة، مما يسهل انتقال الذهن من تفاصيل اللفظ إلى رحابة المعنى، ويمنع الوقوع في فخ التجزئة الذي عانت منه التفسيرات التجزيئية التقليدية.

3. مرحلة المعاني: (الاستقصاء المعرفي الشامل)

في هذه المرحلة الكبرى، يتم تفكيك النص "المنثور" إلى منظومة من القضايا المعرفية. المنهج هنا لا يكتفي بالظاهر، بل يبحث في "المعاني النصية" (المنطوق) و"المعاني التبعية" (ما وراء النص والإشارات). إن الحجة العلمية هنا هي "الاستغراق الدلالي"؛ فاللفظ القرآني بطبيعته يحمل احتمالات معرفية واسعة تغطي العقيدة، والكون، والنفس والعمل. هذه العملية

تحول النص من مجرد "خبر" تاريخي إلى "منظومة فكرية" متشعبة تمد الإنسان بكافة التصورات الضرورية لبناء رؤية كونية متكاملة.

4. مرحلة الأحكام: (التقنين القيمي والتشريعي)

بعد استخراج المعاني الكلية، تأتي مرحلة "التقنين"، حيث يتم تحويل الأفكار المجردة إلى "أوامر ونواهٍ" وموجهات سلوكية (يجب، يحرم، يشرع). ينطلق المنهج من فلسفة أن القرآن نص "وظيفي" بامتياز، لا يهدف للمعرفة الذهنية المحضة بل للتغيير الواقعي. لذا، فإن كل آية تحمل في طياتها حكماً (سواء كان تشريعياً أو تربوياً أو قيمياً). هذه المرحلة هي التي تربط "البيان" بال "التزام"، وتحول الوحي إلى منهاج حياة يضبط إيقاع الحركة الإنسانية في المجتمع.

5. مرحلة القواعد الكلية: (التجريد الوجودي والسنن)

هي ذروة الهرم المعرفي ومنتهى المنهج، حيث يتم تجريد "القوانين الوجودية" المطردة من داخل النص. القاعدة الكلية هي "قانون كوني" يتجاوز الأسباب الخاصة والظروف التاريخية للنزول.

هذه المرحلة هي التي تمنح القرآن صفة "العالمية" والخلود، حيث يتحول النص إلى مرجع لتفسير السنن التاريخية (كيف تسقط الأمم؟) والاجتماعية (كيف تبنى الحضارات؟). هنا يصبح القرآن "كتاب قانون وجودي" يربط الوحي بالواقع الكوني ربطاً عضوياً، ويقدم الحلول الجذرية للأزمات الإنسانية عبر قوانين ثابتة ومطردة.

الخلاصة

إن منهج "البيان القرآني الذاتي بالخماسية النسقية" ليس مجرد طريقة جديدة في التفسير، بل هو مشروع لاسترداد "مركزية الوحي" في الثقافة الإسلامية والإنسانية. إنه محاولة جادة لتفعيل قدرة القرآن الذاتية على التبيين، وتحويله من نص تاريخي محاصر برؤى المفسرين واختلافاتهم، إلى قانون وجودي فاعل ومستمر، يمتلك القدرة على قيادة الوعي البشري نحو اليقين والهداية والحضارة. إن هذا المنهج يحرر العقل المسلم من التبعية للأثر الخارجي، ويفتح آفاقاً لا نهائية للتدبر الذي يستنبط من النص ما يحيي به الواقع ويشيد به المستقبل.

وهنا فصول:

الفصل الأول: مفاهيم وأسس

هنا بيان للمدخل التأسيسي لمنهج (البيان القرآني الذاتي بالخماسية النسقية)، حيث يسعى لضبط المصطلحات وتحديد المرتكزات الفلسفية التي ينطلق منها المنهج، مفرقاً بين التفسير التقليدي والاستنطاق النسقي.

أولاً: كينونة المنهج وماهيته (المقاربة الابستيمولوجية)

لا يُقدم منهج "البيان القرآني الذاتي" نفسه كأداة تفسيرية إضافية ضمن التراث التفسيري، بل ك "استراتيجية استنطاقية" تهدف إلى إحداث قطيعة معرفية مع سلطة "الوسائط الخارجية" (سواء كانت مرويات تاريخية، أو تأويلات كلامية، أو قيوداً لغوية جافة).

- المنهج الكشفي: يقوم المنهج على اعتبار أن المعنى ليس "مُضافاً" إلى النص من قِبل المفسر، بل هو "كامِن" في بنية النص ذاته.

- الكفاية البيانية: المبدأ الأساس هنا هو أن القرآن الكريم يمتلك استقلالاً بيانياً تاماً، يجعله قادراً على تبيان مقاصده من خلال نظمه الداخلي، شريطة تفعيل أدوات القراءة النسقية التي ترفض التجزئة والتبعيض.

ثانياً: التحديد الاصطلاحي وفلسفة التسمية

تتشكل هوية المنهج من ثلاثة أركان ترسم حدوده المعرفية:

1. البيان القرآني

"البيان" في هذا السياق هو الحالة التي يتجلى فيها النص بوضوح تام يمنع اللبس. والقرآن وصف نفسه بأنه "مبين" (اسم فاعل)، مما يعني أنه هو الذي يمارس فعل الإيضاح. دور الباحث هنا ليس "تبيين" القرآن، بل "إزالة الحجب" المعرفية والتاريخية التي تراكمت فوق النص ليتجلى بيانه الأصيل الذي يجمع بين الإخبار (المعرفة) والإنشاء (القانون).

2. الذاتية

هي "الركن الركين" في المنهج؛ وتعني أن النص القرآني هو "المرجع السيادي" لذاته. فالنص هو الذي يستدعي مقدراته السياقية، ويرسم حدود معانيه، ويؤسس لقواعده الوجودية. الذاتية هنا تعني الاستغناء المعرفي بالوحي عن أي أثر خارجي في تحديد المقاصد، والاعتماد حصراً على "السباك الداخلي" للعلاقات بين الألفاظ والجمل.

3. الخماسية النسقية

- الخماسية: تشير إلى "الخوارزمية الإجرائية" المكونة من خمس محطات (التيسير، النثر، المعاني، الأحكام، القواعد). وهي مراحل صارمة تضمن عدم القفز إلى "النتائج" قبل إتمام "البناء النسقي".
- النسقية: هي الروح الرابطة للمنهج؛ فكل مرحلة هي ثمرة لما قبلها ومقدمة لما بعدها في وحدة عضوية لا تقبل الانفصام، مما يضمن خروج "القاعدة الكلية" كناتج علمي موضوعي لا استنباطاً عشوائياً.

ثالثاً: المسوغات المعرفية ومبررات الابتكار

تنبثق ضرورة هذا المنهج من حاجة العقل المعاصر إلى التعامل مع الوحي كمنظومة حية عبر:

1. تحقيق "التيسير" الإجرائي: تفعيل قوله تعالى: {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكرِ}. التيسير هنا ليس "تبسيطاً" بل هو "فعل هندسي" لترميم الانقطاعات السياقية وملء الفراغات المسكوت عنها (المضمرات) لضمان تدفق المعنى بسلاسة.

2. تجاوز المآزق التفكيكية: تعاني المناهج التقليدية من "تجزئة الآية" عبر الإغراق في الإعراب والمفردات، بينما "الخماسية النسقية" تعيد صياغة النص ك "كتلة دلالية" واحدة عبر "النثر"، مما يحافظ على هيبة البيان ووحدته.

3. الانتقال من "الجزئي" إلى "الكوني": يرفض المنهج حصر الآية في "سبب نزول" تاريخي محدود، بل

يسعى لتجريدها لتصل إلى رتبة "القاعدة الكلية"؛ ليكون القرآن دستوراً وجودياً يحكم السنن الكونية والاجتماعية في كل زمان.

رابعاً: الهندسة الإجرائية (الآلية التطبيقية للمنهج)

يتحول النص من حالة "الصمت السياقي" إلى حالة "النطق المعرفي" عبر الخطوات التالية:

1. التيسير: "الترميم السياقي" عبر استحضار المقدرات التي يقتضيها النظم.
2. النثر: "السبك الأدبي" لدمج الآية مع مقدراتها في فقرة منسجمة.
3. المعاني: "الاستنطاق الدلالي" لاستخراج القضايا النصية والتبعية.
4. الأحكام: "التقنين القيمي" بتحويل المعاني إلى التزامات عملية (أوامر ونواهٍ).

5. القواعد: "التجريد السنني" بصياغة القانون الكوني المطرد المستخلص من المراحل السابقة.

خامساً: الاستحقاق الحضاري والأبعاد الإنسانية

إن المقصد الأسمى للبيان الذاتي هو تقديم القرآن كمنظومة قادرة على "صياغة الإنسان وبناء العمران".

- القرآن كمنهج حياة: عبر الخماسية النسقية، يتحول النص من "نص للتلاوة" إلى "خارطة طريق إجرائية". فالأبعاد الإنسانية ليست مجرد استنتاجات عاطفية، بل هي "حقائق وجودية" يتم استخراجها عبر طبقات المنهج.
- بناء الإنسان وتشيد الحضارة: المرحلة الخامسة (القواعد الكلية) هي التي تمد البشرية بالسنن الضرورية للنهضة. فكل آية قرآنية، عند استنطاقها ذاتياً، تمنحنا "قانوناً حضارياً" ييسر سبل الحياة الكريمة ويخدم الوجود الإنساني في أبعاده الشاملة، مما

يجعل الوحي مستجيباً لتحديات العصر وقادراً على قيادة القافلة البشرية نحو اليقين والرفاه.

خلاصة الأسس:

إن الفصل الأول يؤسس لرؤية مفادها أن القرآن الكريم هو "نظام معرفي مستقل"، وأن منهج الخماسية النسقية هو الأداة العلمية لاستخراج مكنونات هذا النظام وتحويلها من "نص مسطور" إلى "واقع حي" يخدم الإنسان ويقيم الحضارة.

هنا تأصيل للدعائم التي يستند إليها منهج (البيان القرآني الذاتي)، واستعراض المسوغات العلمية التي جعلت من "الخماسية النسقية" ضرورة معرفية لتجاوز مآزق القراءات التقليدية، وصولاً إلى تحقيق الاستقلال البياني للنص القرآني.

أولاً: المرتكزات الفلسفية لنظرية البيان الذاتي

ينطلق المنهج من رؤية نقدية إبستيمولوجية للمناهج التفسيرية التي أثقلت النص القرآني بحمولات لغوية، وكلامية، وتاريخية خارجة عن بنيته. ويرتكز هذا التوجه على المبادئ التالية:

- تحرير "صوت النص": يرى المنهج أن التراكم التفسيري أدى في كثير من الأحيان إلى طغيان "صوت المفسر" على "صوت النص". لذا، فإن المرتكز الأساسي هنا هو إعادة السلطة التفسيرية لمتن الوحي ذاته.

- تجلية النص لا تفسيره: يفرق المنهج بين "التفسير" كممارسة بشرية قد تصيب أو تخطئ، وبين "التجلية" كعملية كشف لمراد الله المودع في النص. الهدف هو إتاحة الفرصة للقرآن ليعبر عن مقاصده من خلال "المقدرات" التي يقتضيها السياق ذاتياً.
- الوحدة العضوية والسيادة البيانية: الارتكاز على أن القرآن يمتلك نظاماً بيانياً مستقلاً ومكتملاً، قادراً على منح الباحث مفاتيح استنطاقه دون الحاجة إلى "استيراد" معانٍ من خارج السياق القرآني.

ثانياً: الخماسية النسقية.. مسار التحول من الحرف إلى القانون

تمثل "الخماسية النسقية" المرتكز الإجرائي (الأداتي) للمنهج، وهي خوارزمية تضمن الانتقال السلس من التحليل الجزئي إلى التركيب الكلي عبر مراحل خمس:

1. التيسير (Restoration): مرتكز "ترميم" السياق؛ وهو فعل إجرائي لملء الفراغات السياقية عبر تقدير المضمرات والمحذوفات التي يطلبها النص "ذاتياً" لاستقامة المعنى، مع التجرد التام من إقحام الآراء الشخصية.

2. النثر (Synthesized Prose): مرتكز "الصهر الدلالي"؛ حيث يُسبك النص مع تعويضات التيسير في تدفق أدبي واحد، لكسر الجمود التحليلي وتقديم الآية ككتلة معرفية واضحة المعالم وصالحة للاستيعاب الذهني المباشر.

3. المعاني (Comprehensive Inquiry): مرتكز "الاستنطاق الاستيعابي"؛ ويتم فيه تفكيك النص المنثور إلى جمل وقضايا معرفية، تستقصي الدلالات (النصية والتبعية) لتغطية كامل الفضاء الدلالي الذي تفتحه العبارة.

4. الأحكام (Normative Formulation):
مرتكز "التقنين الإلزامي"؛ بتحويل النتائج المعرفية إلى صيغ عملية وقيمية (واجب، حرام، مشروع)، لربط البيان بالبعد السلوكي والحياتي.

5. القواعد الكلية (Existential Laws): مرتكز "التجريد الوجودي"؛ وهو ذروة المنهج، حيث يتم صياغة قوانين كونية مطردة تتجاوز حدود الواقعة التاريخية للآية إلى عمق القانون الوجودي العام.

ثالثاً: المعيارية العملية والتجرد المنهجي

يرتكز المنهج على "معيارية صارمة" تضمن موضوعية النتائج وقابليتها للقياس والاختبار، وذلك من خلال:

- الانضباط السياقي في التيسير: حيث يتم التخلص من الإطناب اللغوي التقليدي والاكتفاء بفك شفرات السياق الداخلي، مما يضمن عدم خروج المعنى عن مراد النص.

- التوسع الأفقي في المعاني: المنهج يفرض استيعاب كل إشارة أو إيماءة نصية، مما يجعل البحث مستقصياً لكل الاحتمالات التي يتيحها "البيان الذاتي" للنص.
- التجرد من القناعات القبلية: المعيارية هنا تقتضي أن يقف الباحث موقف "المستنطق" لا "المملي"، مما يضمن ثبات النتائج عند تطبيق الخوارزمية على كتل نصية مختلفة.

رابعاً: مبررات الابتكار والقيمة المضافة (آفاق البحث)

تتجلى مبررات اعتماد هذا المنهج في القيمة المعرفية التي يقدمها للمكتبة القرآنية المعاصرة:

1. تجديد الخطاب القرآني: عبر صياغة "نثرية معاصرة" تجسر الفجوة بين لغة الوحي المقتضبة وبين إدراك القارئ الحديث، مما يجعل النص القرآني مستساغاً وقريباً من الوعي المعاصر دون المساس بقدسيته.

2. النمذجة القانونية للوحي: صياغة الأحكام والقواعد الكلية كقوانين "مطردة" يسهل استثمارها في مجالات الأخلاق، السياسة، الاجتماع، وحتى الفيزياء الكونية، مما يعيد للقرآن دوره كمرجع معرفي مهيمن.

3. ترسيخ الذاتية البيانية: تقديم برهان إجرائي عملي على أن القرآن "يفسر نفسه بنفسه"، وهو ما يفتح باباً جديداً للقراءات المستقبلية بعيداً عن الصراعات المذهبية أو التأويلات الحزبية، مع تثمين الجهد التراثي ووضعه في سياقه التاريخي الصحيح.

خلاصة المرتكزات:

إن هذا الفصل يبرهن على أن منهج "البيان القرآني الذاتي" هو استجابة علمية لضرورة الانتقال بالدرس القرآني من "التوصيف الخارجي" إلى "الاستنطاق الداخلي"، مما يضمن تقديم الوحي كمنظومة قانونية ووجودية عابرة للزمان والمكان.

الفصل الثالث: الأبعاد الإنسانية والمدارات الحضارية

لم تكن غاية الوحي يوماً حكراً على فئة دون غيرها، بل كان النداء القرآني دوماً متبوعاً بـ "يا أيها الناس". ومن هنا، يبرز منهج البيان القرآني الذاتي بالخماسية النسقية ليعيد اكتشاف القرآن بوصفه "وثيقة ميلاد عالمية" تتجاوز الحدود الجغرافية والتاريخية والمذهبية، لتخاطب الجوهر الإنساني المشترك. إن الغاية القصوى لهذا المنهج هي إماطة اللثام عن الأبعاد الإنسانية التي أودعها الخالق في النص، ليصبح القرآن "تبياناً" يقدم حلولاً كونية لمعضلات الإنسان المعاصر.

أولاً: فلسفة العالمية والمنزع الإنساني في المنهج

إن "العالمية" في هذا المنهج ليست مجرد انتشار جغرافي، بل هي "عالمية الدلالة" و"إنسانية المقصد". تنهض الخماسية

النسقية بتحويل النص من "خطاب مفسّر" بآراء تاريخية ضيقة، إلى "بيان مبين" يخاطب الفطرة البشرية.

- كسر حواجز الوصاية: يهدف البيان الذاتي إلى تحرير الإنسان من "الكهنوت المعرفي" والتعقيد الفلسفي الذي حال بين الفرد العادي وبين فهم مراد الله. فالتيسير هنا هو تمكين لكل إنسان، أياً كان موقعه، من استعادة ثقته بقدرته على فهم لغة الوحي، مما يحقق "ديمقراطية المعرفة" التي تليق بعالمية الرسالة.

- اللغة الإنسانية المشتركة: عبر مرحلة "النثر"، يتم تحويل التراكيب المركزة إلى لغة "بيانية بشرية" واضحة. هذه المرحلة هي التي تجعل القيم القرآنية (كالعدل، والجمال، والصدق) قابلة للترجمة والتمثل لدى المجتمعات المختلفة، مما يحول القرآن إلى لغة حوار عالمية تفهمها العقول المعاصرة دون حاجة لمقدمات مذهبية معقدة.

ثانياً: أسس الاتجاه الإنساني في البيان الذاتي

يقوم هذا الاتجاه الإنساني على ركائز صلبة تمثل الأرضية التي يُبنى عليها "العمران البشري":

1. أصل الكرامة الذاتية (الاستخلاف لا الاستنزاف)

ينطلق المنهج من قاعدة أن الإنسان "مكرم" بمرسوم إلهي. فمن خلال استنطاق معاني "تدبير الأمر"، يتبين أن الإنسان ليس ذرة تائهة في كون عبثي، بل هو "مستخلف" مكلف بعمارة الأرض. هذا الأساس يمنح الإنسان شعوراً بالمرجعية والهدف، ويحارب النزعات "العدمية" التي تفتك بالحضارة الحديثة.

2. التوازن النفسي والسيادة الأخلاقية

يؤصل المنهج لـ "قانون الصبر والتقوى" و"تزكية النفس" كأدوات إجرائية لا مجرد وعظ. إن استخراج الأبعاد الإنسانية في قصة يوسف أو أيوب –مثلاً– لا يقف عند العبرة، بل يجرد "قواعد" للمرونة النفسية وإدارة الأزمات، مما يخدم البشرية في تحقيق الاستقرار النفسي والمجتمعي.

3. إدارة التنوع (قاعدة التمايز بالإرادة)

من الأسس الجوهرية لهذا الاتجاه هو تقديم القرآن لنموذج "التنوع الخلاق". القاعدة المستنبطة (ماء واحد وثمر مختلف) تؤسس لمدنية فاضلة تقبل الاختلاف في الهويات والمواهب مع الحفاظ على وحدة "المصير الإنساني". هذا هو الجواب القرآني على صراعات الهويات التي تمزق العالم اليوم.

ثالثاً: المدارات الحضارية للخدمة البشرية (تطبيقات الخماسية)

ينتقل المنهج من "الترميم النفسي" للفرد إلى "الهندسة الحضارية" للمجتمع عبر مساراته الخمسة:

1. في العدل والقانون (مأسسة الأخلاق)

الأحكام المستنبطة عبر المنهج لا تكتفي بفضيلة الصدق، بل تحولها إلى "حكم إجرائي" ينظم المؤسسات. فعندما يتحول "إيفاء الكيل" إلى قاعدة للنزاهة الإدارية، يخدم القرآن هنا

قضية "العدالة الاجتماعية" و"حقوق الإنسان" بمفهومها التقنيني الصارم.

- أخلاقيات القوة: يضع المنهج حداً للظلم عبر "قاعدة المرجعية العليا"، حيث القوي والضعيف سيان أمام "الحق"، مما يمنع الطغيان ويحمي كرامة الفرد من تغول السلطة أو المال.

2. في العلم والمنطق الاستدلالي (عصرنة الخطاب)

إن إيجاب "التفكر" و"التعقل" كقواعد إدراكية يدفع البشرية نحو اكتشاف قوانين الفيزياء والكون. المنهج لا يرى العلم رفاهية، بل هو "فريضة استكشافية" تخدم البشرية في مجالات التقنية والبيئة. إن "البيان الذاتي" يربط الوحي بالعلم ربطاً عضوياً، حيث النص هو الموجه والملهم للبحث العلمي الرصين.

3. في الاستدامة البيئية (التوازن الكوني)

يخدم القرآن البشرية بتقديم رؤية "توازنية" للبيئة (قاعدة التوازن بالضد). الأرض والموارد ليست ملكية للاستنزاف، بل هي

"أمانة" مسخرة. هذا الأساس يؤسس لحضارة تحترم البيئة وتكافح الفساد في الأرض، منطلقة من أن "الإنسان مستخلف لا مستنزف"، وهو ما يمثل ذروة الوعي البيئي العالمي.

رابعاً: آفاق العالمية والخدمة الفعلية للبشرية

إن الغاية من هذا المنهج هي إثبات أن القرآن يمتلك "أدوات تشغيلية" للنهوض بالبشرية:

1. صناعة الوعي القيمي: عبر معاني "العلم درجات" و"التواضع المعرفي"، يعالج المنهج أمراض المادية الصماء والأنانية المفرطة.
2. توفير النماذج الإرشادية بإنتاج القوانين الكلية (مثل وحدة المصدر وتنوع المخرجات) يوفر لعلم الاجتماع وعلم الاقتصاد مفاتيح لفهم حركة المجتمعات وإدارة الموارد البشرية والمالية بعدالة متناهية.

خاتمة الفصل: الوصل بين الوحي والواقع

إن منهج البيان القرآني الذاتي يخدم القضية الإنسانية بـ "التزكية" (بناء الفرد)، ويخدم القضية الحضارية بـ "التسخير" (إدارة الكون والمجتمع). إن استعادة "الأبعاد الإنسانية" في القرآن ليست مجرد ترف فكري، بل هي ضرورة لإنقاذ الإنسان من حالة "التيه المعرفي". إن الخماسية النسقية هي التي تضمن تحويل النص من "ذاكرة دينية" إلى "فاعل حضاري" معاصر، يقدم "اليقين" في زمن الحيرة، و"العدل" في زمن الظلم، و"المعنى" في زمن المادية، لتتحقق بذلك عالمية القرآن الحقيقية بوصفه "هدىً ورحمةً للعالمين".

هذه الصياغة تعيد صهر المفاهيم لتقديمها ككتلة معرفية واحدة، تبرز أن "الإنسان" هو قلب المشروع، وأن "العالمية" هي ثمرة الانضباط المنهجي في استنطاق الوحي.

الفصل الرابع: القيمة المعرفية والنفعية للمنهج

يمثل منهج البيان القرآني الذاتي نقلة إبستيمولوجية في علاقة العقل بالنص؛ فهو لا يقف عند حدود "الفهم"، بل يتجاوزه إلى "الانتفاع". تكمن القيمة المضافة لهذا المنهج في قدرته على تحويل البنية النصية إلى أبعاد إنسانية وحضارية عبر ما نسميه "الاستنطاق الغائي"، حيث تتحول المراحل الخمس من "أدوات تحليل" إلى "مخرجات استراتيجية" تخدم الوجود البشري.

أولاً: الفوائد المعرفية لشرائح المتلقين

1. للمجتمع الإنساني عامة (التيسير والتدفق)

- ديمقراطية المعرفة: يكسر المنهج حاجز "اللغة النخبوية"، محولاً النص من صيغة قد تبدو "صعبة المنال" بتركيزها البلاغي العالي إلى "نثر أدبي" مسترسل. هذا يمنح الإنسان العادي حق الوصول

المباشر إلى الوحي دون وسائط معقدة، مما يحرر العقل من التبعية الفكرية.

- وضوح المسار العملي: عبر مرحلة "الأحكام"، يجد الإنسان إجابات مباشرة لسلوكه اليومي، مما يحول الدين من "نصوص غيبية" إلى "منظومة حياة" واضحة المعالم.

2. للباحثين والمفكرين (الضبط والموضوعية)

- الخوارزمية العلمية: يوفر المنهج "خارطة طريق" تحمي الباحث من التشتت أو الإسقاط الذاتي العشوائي. فكل استنباط محكوم بمروره الإلزامي بالمراحل الخمس، مما يمنح البحث القرآني صفة "العلمية" القابلة للقياس والاختبار.

- النزاهة المنهجية: يعزز المنهج من قيمة "الموضوعية" عبر تغييب رأي الباحث ومنحه دور "المظهِر" لبيان النص الذاتي، وهو قمة التجريد العلمي.

ثانياً: خارطة التحويل الإجرائي (كيف يخدم المنهج البشرية؟)

لتحويل "المراحل الخمس" إلى "أبعاد حضارية"، يتبع المنهج آلية معالجة دقيقة تربط بين المدخل النصي والمخرج الإنساني:

1. من "التيسير" إلى "البُعد الإدراكي"

- الآلية: إزالة التعقيد السياقي وترميم الفراغات.
- الخدمة البشرية: تحقيق "الأمن المعرفي"؛ فالإنسان حين يدرك مراد الله بيسر، يتخلص من حالة الاغتراب عن المقدس، ويصبح قادراً على اتخاذ قراراته الوجودية بناءً على بصيرة لا على حيرة.

2. من "النشر" إلى "البُعد الثقافي العالمي"

- الآلية: سبك النص في لغة بيانية بشرية واضحة.
- الخدمة البشرية: "أنسنة الخطاب"؛ فتحويل الوحي إلى نثر مسترسل يجعله قابلاً للاندماج في لغات الثقافات المختلفة، مما يحول القيم القرآنية إلى

"مرجعية حوارية عالمية" تتجاوز الحدود العرقية واللغوية.

3. من "المعاني" إلى "البُعد الوجودي والقيمي"

- الآلية: استخراج الجواهر النفسية (كالصبر، التدبير، العلم).
- الخدمة البشرية: "تصفير القلق الوجودي"؛ فتقديم معاني مثل "العلم درجات" يبني إنساناً متوازناً يجمع بين التواضع المعرفي والطموح العلمي، مما يعزز "الكرامة الإنسانية" في وجه المادية الصماء.

4. من "الأحكام" إلى "البُعد التنظيمي (مأسسة الأخلاق)"

- الآلية: تحويل المعنى إلى حكم إلزامي (واجب، محظور).
- الخدمة البشرية: "الحوكمة والنزاهة"؛ فعندما نُخرج حكم "إيفاء الكيل" من إطاره الوعظي إلى بُعده الحضاري، فإننا نؤسس لـ "العدالة التوزيعية" وحماية

الطبقات الضعيفة من تغول المادة، محولين الاقتصاد من "استنزاف" إلى "خدمة".

5. من "القواعد الكلية" إلى "البُعد السنني الاستراتيجي"

- الآلية: تجريد قوانين الحركة الكونية والاجتماعية.
- الخدمة البشرية: "الاستدامة الحضارية"؛ فهم سنن التغيير (مثل وحدة المصدر وتنوع النتائج) يمنح المجتمعات القدرة على التجدد، وفهم التوازن بين الثوابت والمتغيرات، مما يحمي الحضارة من التحلل والانهيار.

ثالثاً: التكامل المعرفي وردم الفجوة بين النص والواقع

تتجلى القيمة النفعية القصوى للمنهج في قدرته على جعل القرآن "فاعلاً حضارياً" عبر:

- التجرد المنهجي: إثبات أن القرآن "تبيان لكل شيء" بذاته، مما يرد على دعوات الاحتياج الدائم للمصادر الخارجية لتفسير الحقائق الكبرى.

- عالمية الخطاب: تقديم الإسلام كمنظومة عالمية تخاطب العقل الإنساني المشترك بعيداً عن الخصوصيات المذهبية.

- الربط الديناميكي: المعاني المستنبطة ليست تجريدية باردة، بل هي معانٍ "تبعية" تلحظ حركية الحياة وتغيرات الزمان والمكان، مما يجعل النص مواكباً لكل تطور بشري.

- تعد الأبعاد الإنسانية في منهج البيان القرآني الذاتي هي "الثمرة الغائية" التي تمنح العملية الإجرائية مشروعيتها الوجودية؛ فالمنهج لا يستهدف استخراج المعاني كترف فكري، بل يسعى لتحويلها إلى "مصل حيوى" يعالج أزمات الإنسان المعاصر. وتتجلى هذه الأبعاد في أثرها المباشر على ثلاثة مستويات:
- أولاً: المستوى النفسي والوجودي (ترميم الذات): يعمل المنهج عبر "الاستنطاق الغائي" على صياغة بُعد إنساني يسمى "اليقين السكني"؛ فبمجرد تحويل النصوص من قوالب لغوية معقدة إلى "نثر دبي" ميسر، يتحرر الإنسان من "القلق المعرفي" و"الاغتراب عن الوحي". إن الأثر هنا يتجاوز مجرد الفهم إلى بناء "المرونة النفسية"؛ فحين يستنطق الباحث معاني الصبر والتدبير كقوانين مطردة، فإنه يمنح البشرية أداة لإدارة الفواجع والأزمات برؤية متزنة، مما يقلل من حدة العدمية واليأس التي تفتك

بالإنسان في العصر المادي، ويعيد ربطه بمركزية إلهية تمنحه القيمة والكرامة.

- ثانياً: المستوى الحقوقي والاجتماعي (مأسسة الكرامة):
- يتحول النص عبر "الأحكام والقواعد الكلية" إلى بُعد إنساني حقوقي يتجاوز صراعات الأيديولوجيات. إن الأثر النفعي هنا يكمن في "عالمية القيم"؛ فحين نُخرج "العدل" و"إيفاء الكيل" من دائرة الوعظ المسجدي إلى دائرة "القانون الوجودي"، فإننا نؤسس لمنظومة حقوقية تحمي الإنسان من تغول "الاستهلاك" واستلاب الإرادة. هذا البُعد يخدم البشرية في إيجاد "أرضية أخلاقية مشتركة" يمكن من خلالها مخاطبة الآخر بلسان إنساني جامع، يرسخ مبدأ أن "الكرامة الإنسانية" ليست منحة من أحد، بل هي استحقاق نابع من قانون "الاستخلاف" الذي تظهره مراحل المنهج بوضوح.

- ثالثاً: المستوى الحضاري والكوني (الاستدامة السننية):
- يبرز الأثر الإنساني الأكبر في قدرة المنهج على تقديم "نماذج إرشادية" للتعايش مع الكون. إن تحويل "القواعد الكلية" إلى سنن حركية يجعل الإنسان يدرك موقعه كـ "مستخلف" لا كـ "مستنزف"، مما يؤصل لبُعد إنساني بيئي وحضاري مستدام. هذا الأثر يدفع البشرية نحو "التواضع العلمي" الذي يعترف بأن "العلم درجات"، مما يفتح باب التكامل بين الشعوب وتبادل المعارف بدلاً من الصدام، ويحول القوة المادية من أداة للهيمنة إلى وسيلة لخدمة الوجود البشري وتشييد عمران لا يفسد في الأرض، محققاً بذلك "العالمية الإنسانية" التي هي جوهر رسالة البيان القرآني.

خلاصة القيمة النفعية

إن منهج البيان الذاتي لا يفسر الكلمات، بل "يشغلها". هو يحول "المادة الخام" للوحي إلى "طاقة تشغيلية" تبني الفرد عبر (التزكية) وتبني المجتمع عبر (التسخير). إن الخدمة العظمى التي يقدمها المنهج للبشرية هي إعادة "المعنى" للوجود الإنساني، وتقديم حلول تقنية وقيمية لمشاكل العالم الحديث، انطلاقاً من أن الوحي هو القانون الأسمى الذي يضمن كرامة الإنسان واستقرار الحضارة.

- إن الأبعاد الإنسانية في هذا المنهج تمثل "الجسر التشغيلي" الذي ينقل القرآن من كونه "ذاكرة قديمة" إلى كونه "محركاً معاصراً"؛ فهي لا تكتفي ببيان (ماذا قال النص؟)، بل تجيب على سؤال (كيف يحيي النص الإنسان؟)، مما يجعل المنهج ضرورة نفعية لإعادة صياغة الوعي البشري وبناء حضارة تجمع بين السمو الروحي والرفاه المادي.

التطبيق

الان ننتقل من التنظير إلى التحليل الإجرائي المحكم، متخذين من "سورة الرعد" نموذجاً تطبيقياً نظراً لطبيعتها البنيوية التي تجمع بين براهين الغيب ومعطيات الشهادة. وتتمثل الطريقة العملية في إخضاع كتل السورة الموضوعية لعمليات معالجة دقيقة تسير وفق الخطوات التالية:

١ .التحديد الكتلي :يتم تقسيم السورة إلى "كتل نصية" بناءً على الوحدة الموضوعية والنسقية، وليس بناءً على الأجزاء أو السور، لضمان استنطاق المعنى في سياقه التام.

٢ .المعالجة السياقية (التيسير) :نبدأ عملياً بترميم النص عبر "التعويض المقدر"؛ حيث يتم إدراج الكلمات المسكوت عنها سياقياً مباشرة بعد النص القرآني، مما ييسر النص العالي الناتج عن الإيجاز المعجز، ويجعل النص قابلاً للقراءة المستمرة ك "بيان ذاتي."

٣ .التركيب البنائي (النثر) :في هذه الخطوة، نقوم بصهر النص الأصلي مع مقدراته التيسيرية لإنتاج "نص نثري" مسترسل. الفائدة العملية هنا هي تقديم المعنى للذهن كدفق واحد يجمع بين جلال الوحي ووضوح العبارة العربية المعاصرة.

٤ .التفكيك الدلالي (المعاني) :ننتقل هنا إلى استخراج "القضايا المعرفية" من النص المنثور، عبر نقاط مرقمة تستوعب كافة الدلالات النصية والتبعية، مما يحول الفقرة النثرية إلى "مصفوفة معلوماتية" شاملة.

٥ .الصياغة الإلزامية والقانونية (الأحكام والقواعد) :تنتهي العملية العملية بتحويل النتائج إلى ثمرتين:

- أحكام مباشرة :تُصاغ بصيغة (يجب، يحرم، يشرع) لبيان الجانب الإجرائي للإنسان.
- قواعد كلية :تُصاغ كـ "قوانين وجودية" مجردة تمثل الثوابت التي تحكم الكون والإنسان، مما يجعل من سورة الرعد مرجعاً قانونياً وكونياً شاملاً.

إن هذا التطبيق العملي يهدف إلى إثبات أن سورة الرعد، عبر هذا المنهج، ليست مجرد آيات تتلى، بل هي خوارزمية وجودية تفسر حركة الحق والباطل في الأنفس والآفاق الإنسانية والحضارية,

سورة الرعد

آيات القوة الكونية والوحي (١-٤)

النص القرآني:

المر ۚ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ ۗ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (١) اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ (٢) وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا ۖ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ۖ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٣) وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ

صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٤)

(سورة الرعد: ١-٤)

أولاً: مرحلة التيسير

(الر) (هذه) (تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ) (المنزل عليك) (وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ) (هو) (الْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ) (بكونه من الله) (اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا) (من قبلكم) (ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ) (استواءً يليق بجلاله) (وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ) (لمنافعكم) (كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى) (عند الله) (يُدَبِّرُ الْأَمْرَ) (في ملكه) (يُفَصِّلُ الْآيَاتِ) (الكونية والقرآنية) (لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ) (عند الحساب) (وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ) (بسطها) (وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ) (جبالاً ثابتة) (وَأَنْهَارًا) (جارية) (وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ) (ذكراً وأنثى) (يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ) (يغطيه به) (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (في صنع الله)

(وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ) (بقاع مختلفة التربة) (وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ) (مجتمع في أصل واحد) (وَغَيْرُ صِنْوَانٍ) (منفرد) (يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ) (في المنبع) (وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ) (في الطعم والجودة) (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) (دلالة التباين مع وحدة الأصل).

ثانياً: مرحلة النشر

هذه الحروف المقطعة هي آيات الكتاب المنزل عليك، وما أُنزل إليك من ربك هو الحق المحض، غير أن أكثر الناس لا يصدقون بكونه وحياً إلهياً. إن الله هو الذي رفع السموات بغير أعمدة تشاهدونها، ثم استوى على عرشه استواء عظمة، وسخر الشمس والقمر لمصالحكم، حيث يجري كل منهما لوقت معلوم عند خالقه. هو الذي يدبر شؤون ملكه ويفصل آياته الكونية والوحيانية لتصلوا إلى اليقين التام بلقاء ربكم.

وهو الذي بسط الأرض وجعل فيها جبالاً ثابتة وأنهاراً جارية، وخلق من كل الثمرات زوجين اثنين، وهو الذي يغطي النهار بظلمة الليل؛ وفي هذا التقلب دلالات واضحة للمتأملين. وفي الأرض بقاع متلاصقة ومختلفة، وبها بساتين من أعناب وزروع ونخيل، منها ما هو مجتمع في أصل واحد ومنها ما هو منفرد، تسقى جميعاً بماء واحد، ومع ذلك يفاضل الله بين ثمارها في المذاق والمنفعة؛ وفي هذا التباين برغم وحدة المورد آيات بينة لمن يستعمل عقله في إدراك الفاعل المختار.

ثالثاً: مرحلة استخراج المعاني

١. الربط بين "حقية الوحي" و"إحكام الكون" كدليل على وحدة المصدر.

٢. السماء المرفوعة بغير عمد مرئية تدل على قوانين الجاذبية والنظام الخفي الذي يمسك الوجود.

٣. "التسخير" يعني أن الكون ميسر لخدمة الإنسان وليس معادياً له.

٤. "الأجل المسمى" يزرع في الوعي حتمية النهاية لكل قوة مادية.

٥. "تدبير الأمر" يعني أن الكون ليس متروكاً للمصادفة بل له قيادة حكيمة.

٦. "تفصيل الآيات" منهج تعليمي لتيسير فهم الحقائق المعقدة.

٧. "مد الأرض" يتضمن تهيئة المناخ والتربة للحياة البشرية.

٨. "الرواسي" (الجبال) تعمل كأوتاد لحفظ توازن القشرة الأرضية.

٩. نظام "الزوجية" في الثمار أساس التنوع الحيوي واستمرار الحياة.

١٠. "تداخل الليل والنهار" تعبير عن التغيير المستمر ودورات الزمن.

١١. "القطع المتجاورة" تبرز التنوع البيئي في مساحات جغرافية ضيقة.

١٢. "وحدة المصدر" (ماء واحد) مقابل "تعدد النتائج" (نفضل بعضها على بعض) دليل على الإرادة والتدبير.

١٣. "صنوان وغير صنوان" إشارة إلى وحدة الأصل واختلاف الفروع والسمات.

١٤. الفرق بين "التفكر" (للمشاهد الكونية الواسعة) و"التعقل" (للملاحظات الدقيقة في التربة والزراعة).

١٥. الحقائق الكونية لا تحتاج لبرهان بقدر ما تحتاج لـ"رفع الغشاوة" عن البصيرة.

١٦. التباين في الأكل والثمار دعوة لاحترام التنوع في المواهب والقدرات الإنسانية أيضاً.

١٧. الربط بين المشاهدة الحسية (ترونها) وبين اليقين القلبي (توقنون).

١٨. الإشارة إلى إعجاز الحروف (المر) يتحدى القدرة اللسانية للبشر في صياغة الحق.

١٩. السورة تؤسس لـ "المنطق الاستدلالي" من المحسوس إلى الغيبي.

٢٠. استواء الخالق على العرش هو إعلان عن تمام السيطرة والتدبير المطلق.

رابعاً: مرحلة استنطاق الأحكام

١. وجوب الإيمان بقطعية صدق الوحي القرآني (الدليل: والذي أنزل إليك من ربك الحق).

٢. لزوم التفكر في آيات الله الكونية كفرض عقلي لترسيخ اليقين (الدليل: لعلكم بلقاء ربكم توقنون).

٣. حظر الاعتقاد بأن الكون يسير بالصدفة (الدليل: يدبر الأمر).

٤. استحباب البحث العلمي في أسرار التربة والري والتنوع الزراعي (الدليل: إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون).

٥. وجوب شكر نعمة التسخير الكوني للشمس والقمر والأرض (الدليل: وسخر الشمس والقمر).

خامساً: مرحلة القواعد الكلية

١. قاعدة النظام المتقن: الكون يسير بتقدير وتوقيت لا يتخلف (الأساس: كل يجري لأجل مسمى).

٢. قاعدة وحدة الأثر واختلاف المظاهر: المصدر الواحد قد ينتج تنوعاً هائلاً للدلالة على القدرة (الأساس: يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض).

٣. قاعدة الغائية: كل تفصيل كوني يهدف لغاية معرفية كبرى (الأساس: لعلكم بلقاء ربكم توقنون).

٤. قاعدة التوازن: الثبات (الرواسي) والتحول (يغشي الليل النهار) يعملان معاً لحفظ الحياة.

٥. قاعدة التمايز: التفضيل في الجودة (الأكل) سنة كونية تسري على الأشياء والبشر.

الأبعاد الإنسانية والحضارية

١. بُعد التأسيس العلمي (المنهج التجريبي)

- حقيقته: توجيه النظر البشري نحو الظواهر المادية (الرفع، المد، السقي، النمو) لاستخراج القوانين الحاكمة لها، مما يمهد لعلوم الفيزياء والجيولوجيا والنبات.
- أصله: قوله (ترونها) و(يسقى بماء واحد)؛ وهذا يدفع الإنسان نحو "الملاحظة الدقيقة" وتطوير أدوات البحث العلمي لفهم كيف يعمل الكون، مما يؤدي لازدهار التقدم المادي.

٢. بُعد التنمية المستدامة (استثمار الموارد)

- حقيقته: إدراك أن الشمس والقمر والأرض "مسخرات"، أي موارد مهيأة للاستثمار البشري الواعي الذي يحافظ على دوراتها الطبيعية.
- أصله: قوله (وسخر الشمس والقمر) و(مد الأرض)؛ وهذا يوجه البشرية نحو الاستخدام الأمثل للطاقات المتجددة والمساحات الجغرافية، بما يحقق رفاهية الإنسان دون تدمير التوازن البيئي.

٣. بُعد إدارة التنوع (التعددية المثمرة)

- حقيقته: قبول مبدأ "القطع المتجاورة" التي تخرج ثماراً مختلفة رغم وحدة السقي، وهو درس في إدارة التنوع البشري والثقافي.
- أصله: قوله (قطع متجاورة.. ونفضل بعضها على بعض)؛ وهذا يفيد في بناء مجتمعات تعترف باختلاف المواهب والقدرات، وتستثمر في تميز كل فئة لتحقيق تكامل حضاري يشبه تكامل "الأعناب والزرع والنخيل".

٤. بُعد الأمن الوجودي (السكينة النفسية)

- حقيقته: الشعور بأن الكون "مدبر" وليس "غابة عشوائية"، مما يمنع القلق الوجودي ويحفز على العمل المطمئن.
- أصله: قوله (يدبر الأمر يفصل الآيات)؛ وهذا يمنح الإنسان توازناً نفسياً يدعوه للإبداع بدلاً من الانكفاء على الخوف من المستقبل، لعلمه أن هناك نظاماً حكيماً يحكم حركته وحركة الكون.

٥. بُعد المسؤولية المعرفية (إعمال العقل)

- حقيقته: الانتقال من مرتبة "المشاهدة السطحية" إلى مرتبة "التعقل والتدبر"، مما يرفع من قيمة الإنسان ككائن مفكر.
- أصله: قوله (لقوم يتفكرون) و(لقوم يعقلون)؛ وهذا يحرر البشرية من الخرافة والتقليد الأعمى، ويجعل "الوعي" هو المعيار الأساسي للنهوض الحضاري والارتقاء الإيماني.

عجز المنكرين وعلم الله المحيط (٥-١٠)

النص القرآني:

۞ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٥) وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ ۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ (٦) وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ۗ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ (٧) اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ (٨) عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ (٩) سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ (١٠)

(سورة الرعد: ٥-١٠)

أولاً: مرحلة التيسير

((وَإِن تَعْجَبْ} يا محمد من إنكارهم، {فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ} المستبعد للبعث، {أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا} بعد الموت والبلى، {أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ} عودة للحياة مرة أخرى، {الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ} قيود الذل في الدنيا والآخرة، {وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ} يطلبون وقوع العذاب استهزاءً، {قَبْلَ الْحَسَنَةِ} قبل طلب العافية أو الإيمان، {خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ} مضت في الأمم السابقة عقوبات منكلة، {لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ} معجزة حسية مقترحة، {إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ} مخصص للتخويف والدعوة لا للإتيان بالخوارق، {وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ} مرشد يدعوهم إلى الحق، {يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ} محيط بما في الأرحام، {تَغِيضُ الْأَرْحَامُ} ما تنقصه الأرحام من مدة الحمل أو عدد الأجنة، {وَمَا تَزْدَادُ} ما تزيده الأرحام، {بِمِقْدَارٍ} بحد ووقت ونظام لا يتخلف، {عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ} المطلع على المستور والمشاهد، {الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ} العظيم في ذاته الذي علا فوق كل شيء، {أَسَرَّ الْقَوْلَ} أخفاه، {جَهَرَ بِهِ} أعلنه، {مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ} متستر بظلمة الليل، {وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ} ظاهر ومتحرك في طرقاته نهاراً).

ثانياً: مرحلة النشر

وإن تعجب يا محمد من إنكارهم للبعث، فأعجبُ من ذلك هو قولهم المستبعد للعودة للحياة مرة أخرى بقولهم: أإذا كنا تراباً بعد الموت والبلى أإنا لفي خلق جديد؟ فأولئك هم الذين كفروا بربهم وستوضع الأغلال وقيود الذل في أعناقهم وهم أصحاب النار الخالدون فيها. وهم يطلبون وقوع العذاب والسيئة استهزاءً قبل طلب العافية والحسنة، رغم أنه قد مضت من قبلهم في الأمم السابقة عقوبات منكلة، وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم رغم أنه شديد العقاب. ويقول الذين كفروا: لولا أنزل عليه معجزة حسية مقترحة من ربه، والرد أنك إنما أنت منذر مخصص للدعوة، ولكل قوم مرشد وهادٍ يدعوهم. والله يعلم ما تحمله كل أنثى ومحيط بما تنقصه الأرحام وما تزيده من مدة أو عدد، وكل شيء عنده بنظام ومقدار لا يتخلف؛ فهو عالم الغيب المستور والشهادة المشاهدة، الكبير المتعال الذي علا فوق كل شيء. ويستوي

عنده من أخفى القول وأسرّه ومن أعلنه وجهر به، ومن هو متستر بظلمة الليل ومن هو ظاهر ومتحرك في طرقات النهار.

ثالثاً: مرحلة استخراج المعاني

١. التعجب من إنكار "إعادة الخلق" مع الإقرار بـ "الخلق الأول" دلالة على خلل في التفكير المنطقي.

٢. الأغلال في الأعناق دلالة باطنية على أسر النفس للأفكار الجاهلية قبل أن تكون قيوداً مادية.

٣. تقديم طلب العذاب (السيئة) على طلب الرحمة يعكس حالة الانغلاق العقلي وفقدان غريزة البقاء الروحي.

٤. "المثلات" دروس تاريخية مجسدة توضح عاقبة الطغيان لمن أراد الاعتبار.

٥. توازن صفات الألوهية بين "سعة المغفرة" و"شدة العقاب" لضبط سلوك الإنسان بين الرجاء والخوف.

٦. حصر وظيفة الرسول في "الإنذار" يحرر العقل من انتظار الخوارق الحسية ويوجهه للآيات العقلية.

٧. "لكل قوم هاد" تؤكد عدالة السماء في إيصال النور لكل الجماعات البشرية عبر العصور.

٨. الإحاطة بما في الأرحام تشمل الجوانب البيولوجية والقدرية والسمات المستقبلية للجنين.

٩. "ما تغيض الأرحام وما تزداد" دلالة دقيقة على التغيرات الرحمية التي لم يكشفها العلم إلا حديثاً.

١٠. "كل شيء بمقدار" قانون كوني يرفض العبثية ويؤكد النظام الصارم في أصغر الذرات وأكبر المجرات.

١١. الجمع بين "الغيب والشهادة" يوسع آفاق المعرفة البشرية لتعترف بما وراء المحسوس.

١٢. "الكبير المتعال" تزرع في النفس شعوراً بصغر كل الجبابرة أمام عظمة الخالق.

١٣. استواء السر والجهر عند الله يسقط فكرة "المساحات الخاصة" التي قد يرتكب فيها الإنسان الظلم.

١٤. "المستخفي بالليل والسارب بالنهار" تعبير عن شمول الرقابة الإلهية لجميع حركات وسكنات البشر.

١٥. الربط بين "المقدار" (الكم) وبين "العلم" (الكيف) كأساس لبناء الوعي بالخلق.

١٦. إنكار البعث ليس مجرد فكرة، بل هو نكران للقدرة الإلهية المطلقة.

١٧. العلم المحيط بالأرحام يسبق وجود الإنسان، مما يعني أن الرعاية الإلهية تسبق الوعي البشري.

١٨. "الخلق الجديد" هو تأكيد على استمرارية الوجود الإنساني وعدم انتهائه بالتحلل المادي.

١٩. التذكير بالمغفرة "على ظلمهم" فتح لباب الأمل الدائم للتصحيح والعودة.

٢٠. استهزاء المنكرين بالعذاب هو نوع من الهروب النفسي من مواجهة الحقيقة.

رابعاً: مرحلة استنطاق الأحكام

١. وجوب الإيمان بالبعث والنشور كجزء أصيل من العقيدة (الدليل: أإنا لفي خلق جديد).

٢. تحريم استعجال البلاء أو طلب الشر والفتنة (الدليل: ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة).

٣. لزوم الاكتفاء بالقرآن كآية ومعجزة عقلية وعدم ارتهان الإيمان بالخوارق (الدليل: إنما أنت منذر).

٤. وجوب مراقبة الله في السر والعلن استناداً لعلمه المحيط (الدليل: سواء منكم من أسر القول ومن جهر به).

٥. حرمة اليأس من روح الله مهما عظم الظلم بفضل سعة مغفرته (الدليل: لذو مغفرة للناس على ظلمهم).

خامساً: مرحلة القواعد الكلية

١. قاعدة الانضباط الكوني: لا مجال للصدفة، فكل حدث محكوم بضوابط دقيقة (الأساس: وكل شيء عنده بمقدار).

٢. قاعدة الشمول الرقابي: الظلام والضياء سيان أمام العلم الإلهي (الأساس: مستخف بالليل وسارب بالنهار).

٣. قاعدة التلازم التاريخي: سنن الله في إهلاك الظالمين ثابتة ولا تتخلف (الأساس: وقد خلت من قبلهم المثلات).

٤. قاعدة الوظيفة الرسالية: الهداية وظيفة مستمرة لا تنقطع في تاريخ البشر (الأساس: ولكل قوم هاد).

٥. قاعدة الأولوية الوجودية: عظمة الخالق (الكبير المتعال) هي المرجع الذي تتقزم عنده كل القوى المادية.

الأبعاد الإنسانية والحضارية

١. بُعد الرقابة الذاتية (النزاهة المطلقة)

- حقيقته: بناء ضمير إنساني يستشعر الرقابة في أدق الخصوصيات (السر، الاستخفاء بالليل)، مما يؤدي لسيادة الأمانة دون الحاجة لشرطي خارجي.
- أصله: قوله (سواء منكم من أسر القول ومن جهر به)؛ وهذا يطور الإنسان ليكون نزيهاً في خلوته كما هو في علانيته، مما يرفع كفاءة النظم الأخلاقية في المجتمع.

٢. بُعد الدقة والنظام (منهجية المقاييس)

- حقيقته: ترسيخ مفهوم أن الوجود يقوم على "المقادير" (الرياضيات والنسب والكميات)، مما يحفز العقل على البحث عن هذه النسب في العلوم.
- أصله: قوله (وكل شيء عنده بمقدار)؛ وهذا يوجه البشرية نحو "الدقة" في الصناعة والإدارة والبحث العلمي، ورفض الفوضى والتقديرات العشوائية.

٣. بُعد التوازن النفسي (الرجاء والتحذير)

- حقيقته: تقديم منهج نفسي يجمع بين سعة التسامح (المغفرة) وبين الحزم (شديد العقاب)، مما يمنع التحلل الأخلاقي أو القنوط النفسي.

- أصله: قوله (لذو مغفرة للناس على ظلمهم.. وإن ربك لشديد العقاب)؛ وهذا يساعد في صياغة قوانين وضعية تجمع بين روح العدالة وإصلاح المجرم، وحماية المجتمع بالردع.

٤. بُعد الوعي بالتنوع الجنيني (الأساس الحيوي)

- حقيقته: لفت النظر إلى أدق تفاصيل الخلق البشري في بداياته، مما يمهد للعلوم الطبية المتعلقة بالأجنة والنمو.

- أصله: قوله (ما تغيض الأرحام وما تزداد)؛ وهذا يخدم الإنسان في تطوير الرعاية الصحية وتوقير الحياة في مراحلها الأولى، وفهم قوانين الزيادة والنقصان الحيوي.

٥. بُعد الهداية المستمرة (العالمية الثقافية)

- حقيقته: الاعتراف بأن كل تجمع بشري لديه مصدر للهداية والنور، مما يعزز فكرة المشترك الإنساني واحترام تجارب الشعوب الروحية.

- أصله: قوله (ولكل قوم هاد)؛ وهذا يمنح الإنسان رؤية حضارية منفتحة ترفض احتكار الحقيقة، وتؤمن بأن العدل الإلهي شمل جميع الأمم عبر التاريخ بمرشدين وقادة نحو الحق.

الحفظ الإلهي وسنة التغيير (١١-١٣)

النص القرآني:

لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ (١١) هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ (١٢) وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ (١٣)

(سورة الرعد: ١١-١٣)

أولاً: مرحلة التيسير

({لَهُ مُعَقِّبَاتٌ} ملائكة يتناوبون على الإنسان، {مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ} من أمامه ووراءه، {يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ} بأمر الله وبإذنه من المكاره، {لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ} من حال النعمة أو الشدة، {حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ} بتبديل أحوالهم

النفسية والعملية، {سُوءًا} عذاباً أو هلاكاً، {فَلَا مَرَدَّ لَهُ} لا رادّ لقضائه، {مِن وَالٍ} ناصر أو متولٍ لأمورهم يمنع عنهم الضر، {الْبَرْقَ خَوْفًا} خشية من الصواعق، {وَطَمَعًا} رجاءً في المطر، {يُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ} يخلق الغيوم المحملة بالماء والخير، {وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ} ينطق الرعد بتنزيه الله والثناء عليه، {مِنْ خِيفَتِهِ} إجلالاً ورهبة، {شَدِيدُ الْمِحَالِ} قوي المكر أو شديد الكيد والقوة).

ثانياً: مرحلة النثر

جعل الله ملائكة معقبات للانسان يتناوبون من أمامه ومن ورائه يحفظونه بأمر الله وبإذنه من المكاره، وإن الله لا يغير ما بقوم من حال حتى يبدأوا هم بتغيير ما بأنفسهم بتبديل أحوالهم النفسية والعملية، وإذا أراد الله بقوم عذاباً أو هلاكاً فلا رادّ لقضائه، وما لهم من دون الله من ناصر أو متولٍ لأمورهم يمنع عنهم الضر. وهو الذي يريكم البرق خشية من الصواعق ورجاءً في المطر ويخلق الغيوم المحملة بالماء والخير،

وينطق الرعد بتنزيه الله والثناء عليه وتسبح الملائكة إجلالاً ورهبة منه، ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يخاصمون ويجادلون في توحيد الله وهو شديد القوة والمكر بمن عصاه.

ثالثاً: مرحلة استخراج المعاني

١. الرعاية الإلهية تحيط بالإنسان عبر "نظام تأمين" ملائكي غير مرئي (معقبات).

٢. "من أمر الله" تعني أن الحفظ والقدر كلاهما صادر عن مصدر واحد؛ فالقدر يُدفع بالقدر.

٣. التغيير المجتمعي والسياسي والكوني مرهون حصرياً بـ "التغيير النفسي والداخلي".

٤. الإنسان هو المسؤول الأول عن استنزال النعمة أو جلب النقمة بسلوكه (حتى يغيروا).

٥. إرادة الله في "السوء" للقوم هي نتيجة عادلة لرفضهم الإصلاح النفسي.

٦. غياب "الوالي" في الأزمات الكبرى هو انقطاع لأسباب النجاة الدنيوية عند حلول الغضب الإلهي.

٧. "البرق" يحمل ثنائية المشاعر (خوف وطمع)، مما يجسد قانون الاضطراب المحفز للخير.

٨. "السحاب الثقال" تعبير فيزيائي دقيق عن وزن الماء في الغيوم قبل هطوله.

٩. تسبيح الرعد هو انقياد كوني خاضع للقوانين الإلهية؛ فالصوت الكوني ثناء.

١٠. "خيفة الملائكة" إشارة إلى أن القرب من الله يزيد من استشعار هيبته وعظمته.

١١. الصواعق رسائل قدرية حادة تقع بمشيئة دقيقة لتنبيه الغافلين.

١٢. المفارقة الصارخة بين "تسبح الملائكة والرعد" وبين "وهم يجادلون"؛ الكون يسبح والمنكر يخاصم.

١٣. "شديد المحال" إشارة إلى أن المكر البشري يذوب في قوة الكيد الإلهي المحكم.

١٤. الحفظ الملائكي يمنح الإنسان مساحة من "الأمان المؤقت" للقيام بدوره قبل بلوغ الأجل.

١٥. النفس الإنسانية هي "المحرك المركزي" لكل الأحداث التاريخية والاجتماعية.

١٦. ظواهر الطبيعة (رعد وبرق) ليست صماء، بل هي أدوات "اتصال وتواصل" بين الخالق والخلق.

١٧. الربط بين "الحمد" و"الخوف" في تسبيح الكائنات يحقق التوازن الوجدي.

١٨. الإرادة الإلهية لا تُرد بالوسائل المادية إذا حان وقت الحساب (فلا مرد له).

١٩. "المعقبات" دلالة على الدقة الزمنية والتعاقب المنظم في الرقابة والحفظ.

٢٠. الجدال في الله وقت نزول الآيات الكونية (الصواعق) هو ذروة الغفلة والعناد البشري.

رابعاً: مرحلة استنطاق الأحكام

١. وجوب الإيمان بعالم الغيب والملائكة الموكلين بحفظ الإنسان (الدليل: له معقبات).

٢. لزوم العمل النفسي والتربوي كشرط شرعي لتحقيق النهضة الجماعية (الدليل: حتى يغيروا ما بأنفسهم).

٣. حرمة المجادلة بالباطل في ذات الله وآياته عند وضوح البراهين (الدليل: وهم يجادلون في الله).

٤. وجوب استشعار الخوف والطمع عند مشاهدة الظواهر الكونية كنوع من العبادة (الدليل: يريكم البرق خوفاً وطمعاً).

٥. كراهية الغفلة عن التسبيح والذكر في مواطن الرهبة الكونية (الدليل: ويسبح الرعد بحمده).

خامساً: مرحلة القواعد الكلية

١. قاعدة الأولوية النفسية: البناء الداخلي يسبق البناء الخارجي (الأساس: حتى يغيروا ما بأنفسهم).

٢. قاعدة الحفظ الممنوح: حياة الإنسان محمية بنظام كوني حتى يستوفي غرضه (الأساس: يحفظونه من أمر الله).

٣. قاعدة حتمية الجزاء: السلوك الجماعي يحدد المصير الجماعي (الأساس: وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له).

٤. قاعدة الثنائية في الظواهر: الضرر والنفع غالباً ما يجتمعان في أصل واحد (الأساس: خوفاً وطمعاً).

٥. قاعدة الكيد المتفوق: لا يحيق المكر السيء إلا بأهله أمام مكر الله المحكم (الأساس: وهو شديد المحال).

---

١. بُعد المسؤولية الفردية والجماعية (سيكولوجية التغيير)

- حقيقته: تحويل بؤرة التغيير من "انتظار المعجزات" أو "إلقاء اللوم على الظروف" إلى "العمل الذاتي"؛ فالإصلاح يبدأ من القناعات والقيم النفسية.
- أصله: قوله (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)؛ وهذا يحرر المجتمعات من التواكل واليأس، ويجعل التطور رهيناً بالتعلم والنمو النفسي والأخلاقي.

٢. بُعد الأمن الروحي (نظام الحماية العالمي)

- حقيقته: غرس الطمأنينة في قلب الإنسان بأنه ليس وحيداً أو عرضة للمصادفات العابرة، بل هناك "معقبات" تحفظ توازنه الوجودي.
- أصله: قوله (له معقبات من بين يديه ومن خلفه)؛ وهذا يمنح الإنسان الثقة لممارسة دوره في الأرض

والبناء، لعلمه أن حياته مُصانة بأمر علوي إلى حين استيفاء المهمة.

٣. بُعد التفاعل مع البيئة (قراءة الطبيعة)

- حقيقته: النظر إلى الظواهر الطبيعية (برق، رعد، سحاب) كأدلة حيوية تستدعي التفكير العلمي والشعور الوجداني، وليس كمجرد حوادث فيزيائية صامتة.
- أصله: قوله (يريكم البرق خوفاً وطمعاً)؛ وهذا يطور علاقة "الاحترام" مع الطبيعة، ويحفز الإنسان على دراسة علوم المناخ والبيئة لاستباق المخاطر (الخوف) واستثمار الموارد (الطمع).

٤. بُعد التواضع الكوني (نفي الغطرسة)

- حقيقته: إدراك الإنسان لحجمه الحقيقي أمام القوى الكونية المسبحة (الرعد، الصواعق)، مما يكسر حدة "الغرور التكنولوجي" أو "الجدال العقيم".

- أصله: قوله (وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال)؛ وهذا يوجه البشرية نحو العقلانية والتواضع أمام القوانين الكونية الكبرى، ويمنع الانزلاق نحو الطغيان المبني على وهم القوة.

٥. بُعد الحتمية القانونية (عدالة القضاء)

- حقيقته: الإيمان بأن هناك لحظة تاريخية (إذا أراد الله بقوم سوءاً) لا تنفع فيها الدفاعات المادية إذا انحرف المجتمع عن مسار الفطرة والعدل.

- أصله: قوله (فلا مرد له وما لهم من دونه من وال)؛ وهذا يرسخ في الوعي الحضاري ضرورة الالتزام بالقيم الأخلاقية كـ "درع حماية" أسمى من الترسانات العسكرية، لأن الانهيار القيمي يؤدي حتماً إلى انهيار مادي لا يُرد.

دعوة الحق وعجز الباطل (١٤-١٧)

النص القرآني:

لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ ۖ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ ۚ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (١٤) وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۩ (١٥) قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ ۚ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ۖ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (١٦) أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ۚ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ (١٧)

(سورة الرعد: ١٤-١٧)

أولاً: مرحلة التيسير

({لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ} نداء التوحيد الصادق، {لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ} لا يحققون لهم نفعاً، {كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ} كمن يمد يده للماء من بعيد ليشرب، {لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ} لن يصل الماء لفتحة فمه بمجرد الإشارة، {فِي ضَلَالٍ} ضياع بلا فائدة، {طَوْعًا} باختيار ورضا، {وَكَرْهًا} خضوعاً اضطرارياً للقوانين الكونية، {بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ} أول النهار وآخره، {أَوْلِيَاءَ} آلهة أو نصراء، {فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ} اختلط عليهم الأمر لظنهم أن شركاءهم يخلقون كخلق الله، {الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ} المنفرد بالذات والغالب لكل شيء، {أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا} بمقدار سعتها وحجمها، {زَبَدًا رَّابِيًا} رغوة طافية ومنتفخة، {حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ} زينة كذهب أو أدوات كحديد، {جُفَاءً} ضائعاً وهالكاً لا قيمة له، {فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ} يبقى ويستقر لنفع الخلق).

ثانياً: مرحلة النثر

لله وحده نداء التوحيد الصادق، والذين يطلبون غيره لا يحققون لهم نفعاً أبداً، وحالهم كمن يمد يده للماء من بعيد ليشرب لن يصل الماء لفتحة فمه بمجرد الإشارة وما دعاء الكافرين إلا في ضياع بلا فائدة. ولله يخضع ويسجد كل من في السماوات والأرض باختيار ورضا أو خضوعاً اضطرارياً للقوانين الكونية، وتسجد ظلالهم تابعة لهم في أول النهار وآخره. قل يا محمد: من مالك السماوات والأرض؟ قل: هو الله، قل: أفاتخذتم من دونه نصراء لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً؟ قل: هل يستوي الجاهل والمنكر مع المهتدي، أم هل تستوي ظلمات الكفر ونور الإيمان؟ أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلق الله فاختلط عليهم الأمر؟ قل: الله وحده خالق كل شيء وهو المنفرد بالذات والغالب لكل شيء. هو الذي أنزل من السماء مطراً فجرت مجاري المياه بمقدار سعتها وحجمها فحمل السيل رغوة طافية ومنتفخة فوق الماء، وكذا ما يوقدون عليه في النار من ذهب للزينة أو حديد للأدوات تخرج منه رغوة وشوائب مثلها، كذلك يوضح الله مثال الحق والباطل،

فالشوائب تذهب ضائعة وهالكة لا قيمة لها، وأما ما ينفع الناس من الماء والمنفطرات فيبقى ويستقر في الأرض للنفع.

ثالثاً: مرحلة استخراج المعاني

١. "دعوة الحق" هي النداء الوحيد المتوافق مع الفطرة والواقع.

٢. التشبيه بـ "باسط كفيه للماء" يصور خيبة المسعى الذي يكتفي بالتمني دون العمل بالأسباب.

٣. "ضلال الدعاء" يعني انعدام الهدف والوجهة في الطلب من غير القادر.

٤. السجود "كرهاً" يمثل انقياد الخلايا والذرات والجسم المادي لقوانين الخالق رغماً عن جحود العقل.

٥. سجود "الظلال" إشارة إلى انقياد الأبعاد المادية والفيزيائية للحقائق الروحية.

٦. "الغدو والآصال" دلالة على استمرارية الخضوع الكوني عبر دورات الزمن.

٧. العجز عن جلب "النفع والضر" للذات هو أكبر برهان على عدم صلاحية المخلوق للألوهية.

٨. "الأعمى والبصير" تقابل معرفي بين من يبصر السنن الكونية ومن يعيش في عماية الجهل.

٩. استحالة تشابه الخلق (فتشابه الخلق عليهم) تنفي وجود أي شريك في الإبداع الكوني.

١٠. "الواحد القهار" تزاوج بين الوحدانية المعرفية والغلبة الوجودية.

١١. "فسالت أودية بقدرها" قانون السعة؛ فكل وعاء بشري أو مادي يأخذ من الحقيقة بمقدار استعداده.

١٢. "الزبد الرابي" يمثل الباطل في انتفاخه، وعلوه، وخفته، وعدم جذوره.

١٣. "ما ينفع الناس" هو المعيار الوحيد للبقاء والخلود في ميزان القيم الإلهية.

١٤. تشبيه الباطل بالشوائب المعدنية (مما يوقدون عليه) يوضح أن الاختبار (النار) هو الذي يميز الجوهر.

١٥. "جفاء الزبد" قانون التلاشي؛ فالباطل قد يعلو لكنه لا يستقر.

١٦. المطر (الوحي) ينزل للجميع، لكن الأودية (العقول) تتباين في استيعابه.

١٧. الربط بين "الحلية" (الجمال) و"المتاع" (المنفعة) كغايات للصناعة البشرية.

١٨. "الاستجابة" مرهونة بالقدرة، ومن لا يملك القدرة لا يملك الإجابة.

١٩. الحق هادئ ومستقر (يمكث)، والباطل صاخب ومضطرب (رابي).

٢٠. ضرب الأمثال وسيلة لتقريب المطلق إلى المقيد، والغيبي إلى المحسوس.

رابعاً: مرحلة استنطاق الأحكام

١. وجوب إخلاص الدعاء والطلب لله وحده (الدليل: له دعوة الحق).

٢. لزوم الأخذ بالأسباب الحسية لنيل المطالب وعدم الاكتفاء بالتمني (الدليل: كباسط كفيه إلى الماء).

٣. وجوب الاعتراف بوحدانية الخالق بناءً على الانفراد بالخلق (الدليل: الله خالق كل شيء).

٤. ندبية التفكر في حركة الظلال وتعاقب الأوقات كفعل تعبدي (الدليل: وظلالهم بالغدو والآصال).

٥. مشروعية الانتفاع بالمعادن والصناعات لتوفير الزينة والمتاع (الدليل: ابتغاء حلية أو متاع).

خامساً: مرحلة القواعد الكلية

١. قاعدة البقاء للأصلح: النفع هو ضابط الاستمرار والخلود (الأساس: وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض).

٢. قاعدة حتمية التلاشي: الباطل مهما علا وانتفخ فمصيره الزوال (الأساس: فأما الزبد فيذهب جفاء).

٣. قاعدة الاستيعاب المقدر: الفيوضات واحدة، لكن القوابل تختلف (الأساس: فسالت أودية بقدرها).

٤. قاعدة الانقياد الكوني: لا أحد يخرج عن سلطان القوانين الإلهية في الجسد (الأساس: وله يسجد من في السماوات والأرض.. كرهاً).

٥. قاعدة التمييز بالاختبار: المحن والفتن (النار/السيل) هي التي تعزل الجوهر عن العرض (الأساس: كذلك يضرب الله الحق والباطل).

الأبعاد الإنسانية والحضارية

١. بُعد النفعية الأخلاقية (فلسفة البقاء)

- حقيقته: ترسيخ معيار "النفع" كأساس لتقييم الأفكار والنظم والمشاريع؛ فالفكرة التي لا تخدم

الإنسان ولا تعمر الأرض محكوم عليها بالتلاشي كـ "الزبد".

- أصله: قوله (وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض)؛ وهذا يوجه البشرية نحو الإنتاجية المثمرة والابتكار الذي يحل مشكلات البشر، بدلاً من الانشغال بالفقاعات الإعلامية أو الأيديولوجيات الجوفاء.

٢. بُعد الواقعية في الطلب (العمل لا التمني)

- حقيقته: نقد العقلية التي تنتظر النتائج دون سلوك المسارات الموصلة إليها، والتأكيد على أن الإشارة للماء لا تروي الظمأ.

- أصله: قوله (كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه)؛ وهذا يحرر المجتمعات من التواكل والوعود الزائفة، ويؤسس لثقافة "المسعى العملي" كطريق وحيد لتحقيق الأهداف.

٣. بُعد إدارة القدرات (الاستيعاب بـ "القدر")

- حقيقته: فهم أن المؤسسات والأفراد يختلفون في سعة استيعابهم للموارد والعلوم (الأودية)، مما يستوجب وضع كل مورد في مكانه المناسب لسعته.

- أصله: قوله (فسالت أودية بقدرها)؛ وهذا يفيد في الإدارة الحضارية من حيث تخصيص الموارد بناءً على الكفاءة والسعة الاستيعابية، لضمان عدم ضياع الخير أو فيضانه عما لا يحتمل.

٤. بُعد التطور الصناعي والجمالي (الحلية والمتاع)

- حقيقته: الإشارة إلى أهمية "التقنية" (الصهر بالنار) لاستخلاص المعادن النافعة وتطوير أدوات الحياة (المتاع) وجمالياتها (الحلية).

- أصله: قوله (ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع)؛ وهذا يحفز البشرية على البحث العلمي في علوم المواد والتعدين، مع ربط الصناعة بالقيم الجمالية والنفعية معاً.

٥. بُعد التوحيد الكوني (الانسجام مع القوانين)

- حقيقته: إدراك أن الإنسان جزء من منظومة كونية ساجدة ومطيعة، مما يقلل من اغتراب الفرد ويجعله منسجماً مع حركة الوجود.

- أصله: قوله (ولله يسجد من في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً)؛ وهذا يمنح الإنسان توازناً نفسياً حين يعلم أن خلاياه وأعضاءه تتبع نظاماً إلهياً حكيماً، مما يدعو عقله ليتصالح مع هذا النظام (طوعاً) لتحقيق السلم الداخلي.

جزاء الاستجابة وعاقبة الإدبار (١٨-٢٤)

النص القرآني:

لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٨) ۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (١٩) الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ (٢٠) وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ (٢١) وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (٢٢) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (٢٤)

(سورة الرعد: ١٨-٢٤)

أولاً: مرحلة التيسير

((الْحُسْنَىٰ} الجنة والمثوبة الفضلى، {لَافْتَدَوْا بِهِ} بذلوه ثمناً للنجاة من العذاب، {سُوءُ الْحِسَابِ} التدقيق والمناقشة في كل صغيرة وكبيرة، {الْمِهَادُ} المستقر والفراش، {أَعْمَىٰ} فاقد البصيرة والوعي، {أُولُو الْأَلْبَابِ} أصحاب العقول الصافية، {يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ} يلتزمون بالأوامر والفرائض، {الْمِيثَاقَ} العهد المؤكد، {يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ} كالأرحام والمودّة، {يَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ} يدفعون القبيح بالجميل، {عُقْبَى الدَّارِ} العاقبة المحمودة في الآخرة، {جَنَّاتُ عَدْنٍ} إقامة دائمة، {وَمَن صَلَحَ} من صلح إيمانه وعمله).

ثانياً: مرحلة النشر

للذين استجابوا لربهم المثوبة الفضلى والجنة، والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه لبذلوه ثمناً للنجاة من العذاب، فأولئك لهم التدقيق والمناقشة في كل

صغيرة وكبيرة ومستقرهم جهنم وبئس الفراش. أفمن يعلم أن ما أنزل إليك من ربك هو الصدق المطلق كمن هو فاقد البصيرة والوعي؟ إنما يتذكر أصحاب العقول الصافية الذين يلتزمون بالأوامر ولا ينقضون العهد المؤكد، والذين يصلون الأرحام والمودة ويخشون ربهم ويخافون سوء المناقشة في الحساب، والذين صبروا طلباً لمرضاة ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا من رزقهم في الخفاء والعلن ويدفعون القبيح بالجميل، أولئك لهم العاقبة المحمودة في الآخرة وهي جنات إقامة دائمة يدخلونها هم ومن صلح إيمانه وعمله من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يسلمون عليهم من كل باب قائلين: سلام عليكم بسبب صبركم فنعم العاقبة المحمودة.

ثالثاً: مرحلة استخراج المعاني

١. الاستجابة هي الفعل المولد لـ "الحسنى"؛ فلا جزاء بلا تفاعل مع المصدر.

٢. فداء النفس بـ "ضعف ما في الأرض" يصور ضآلة الملك المادي أمام هول الحساب.

٣. "سوء الحساب" هو نتيجة طبيعية لعشوائية السلوك ونقض المواثيق في الدنيا.

٤. المقابلة بين "العلم بالحق" و"العمى" تلغي الحياد في القضايا المصيرية.

٥. "أولو الألباب" هم الفئة القادرة على تحويل الذكرى إلى سلوك عملي.

٦. "الوفاء بالعهد" هو الركيزة الأخلاقية الأولى في بناء الشخصية المؤمنة.

٧. "صلة ما أمر الله به" تشمل الروابط الإنسانية، العلمية، والروحية.

٨. "خشية الرب" تسبق "خوف الحساب"؛ فالإجلال يسبق الحذر من النتيجة.

٩. "الصبر ابتغاء وجه ربهم" يخرج الصبر من كونه اضطراراً إلى كونه فعلاً إرادياً هادفاً.

١٠. "الإنفاق سراً وعلانية" يغطي كافة الاحتياجات الاجتماعية ويحارب الأنانية.

١١. "درء السيئة بالحسنة" قمة الذكاء الاجتماعي والارتقاء النفسي.

١٢. "عقبى الدار" هي الجائزة الكبرى للاستقرار بعد رحلة العناء.

١٣. دخول "الصالحين من الأهل" يبرز قيمة التكافل الأسري الممتد لما بعد الموت.

١٤. استقبال الملائكة "من كل باب" تعبير عن الاحتفاء الكوني بالإنسان الناجح.

١٥. "سلام عليكم بما صبرتم" حصر لسبب الفوز في صفة "الصبر" المحورية.

١٦. الربط بين "إقامة الصلاة" و"الإنفاق" يحقق التوازن بين الحق الإلهي والحق البشري.

١٧. "عدن" تعني الثبات والخلود، وهو ما يفتقده الإنسان في دار الفناء.

١٨. "اللب" هو الجوهر الذي يدرك الحقائق وراء القشور المادية.

١٩. افتداء النفس بكل ما في الأرض دليل على أن القيمة الحقيقية للإنسان ليست فيما يملك.

٢٠. "بئس المهاد" تصوير للراحة المفقودة لمن عاش في قلق الباطل.

رابعاً: مرحلة استنطاق الأحكام

١. وجوب الاستجابة لأوامر الله ونواهيه لنيل المثوبة (الدليل: للذين استجابوا لربهم الحسنى).

٢. حرمة نقض المواثيق والعهود سواء مع الله أو مع البشر (الدليل: ولا ينقضون الميثاق).

٣. وجوب صلة الأرحام وكل ما أمر الله بوصله (الدليل: والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل).

٤. ندبية دفع الإساءة بالإحسان لإصلاح المجتمع (الدليل: ويدرءون بالحسنة السيئة).

٥. مشروعية الإنفاق في الخفاء والعلن حسب المصلحة (الدليل: وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية).

خامساً: مرحلة القواعد الكلية

١. قاعدة الأهلية المعرفية: الوعي بالحق ثمرة لتشغيل العقل الصافي (الأساس: إنما يتذكر أولو الألباب).

٢. قاعدة الارتباط الأسري: الصلاح الفردي يفيض خيراً على الدائرة المقربة (الأساس: ومن صلح من آبائهم وأزواجهم).

٣. قاعدة الرد الوقائي: التعامل بالحسنة هو السلاح الأقوى لإبطال أثر السوء (الأساس: ويدرءون بالحسنة السيئة).

٤. قاعدة المشروطية الجزائية: السلام النهائي هو ثمن الصبر الدنيوي (الأساس: سلام عليكم بما صبرتم).

٥. قاعدة التلازم بين الإيمان والعمل: لا يُكتفى بالعلم بل لا بد من الوفاء والصلة والإقامة (الأساس: الذين يوفون.. ويصلون.. وأقاموا).

الأبعاد الإنسانية والحضارية

١. بُعد الموثوقية التعاقدية (أخلاق الميثاق)

- حقيقته: بناء مجتمع يقوم على "الوفاء بالعهود"، وهي القيمة التي تضمن استقرار التجارة والقانون والروابط الدولية.
- أصله: قوله (يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق)؛ وهذا يمنح الحضارة مصداقية عالية، حيث تصبح

الكلمة والعهد هي الضامن لحقوق الأفراد والجماعات.

٢. بُعد التماسك الاجتماعي (شبكة الصلات)

- حقيقته: تفعيل منظومة "الوصل" لكل الروابط الإنسانية، مما يقلل من نسب التفكك والعزلة في المجتمعات الحديثة.
- أصله: قوله (يصلون ما أمر الله به أن يوصل)؛ وهذا يؤسس لمجتمع "متشابك" يساند فيه القوي الضعيف ويُحفظ فيه حق القرابة، مما يخفف من الأزمات النفسية والاجتماعية.

٣. بُعد السلم المجتمعي (استراتيجية الدفع بالتي هي أحسن)

- حقيقته: تبني منهجية "امتصاص الغضب" وتحويل الصراع إلى صلح من خلال مقابلة الإساءة بالإحسان، مما يقطع دابر الانتقام.

- أصله: قوله (ويدرءون بالحسنة السيئة)؛ وهذا يقدم حلاً عملياً للصراعات البشرية، ويحول الأعداء إلى أصدقاء، ويقلل من مستويات العنف في البيئات المزدحمة.

٤. بُعد التكافل الاقتصادي الشامل (مرونة الإنفاق)

- حقيقته: تشجيع الحركة المالية من الغني إلى الفقير عبر مسارين (السر والعلن)، لضمان تلبية الحاجات النفسية (الكرامة) والحاجات التحفيزية (القدوة).

- أصله: قوله (وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية)؛ وهذا يضمن دورة اقتصادية رحيمة تحارب الفقر وتوفر الحماية الاجتماعية للفئات الهشة دون بيروقراطية معطلة.

٥. بُعد الاستمرارية الأسرية (الوحدة العابرة للزمن)

- حقيقته: تعزيز مفهوم الأسرة "الممتدة" التي يجمعها الصلاح والنجاح، مما يحفز الآباء على تربية الأبناء ويحفز الأبناء على البر بالآباء طمعاً في اللقاء الدائم.

- أصله: قوله (ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم)؛ وهذا يعطي معنى أعمق للحياة الأسرية، ويجعل من البيت خلية بناء حضاري تتجاوز الجيل الواحد إلى ديمومة العطاء والسكينة.

نقض العهود ومفاتيح الرزق (٢٥-٢٧)

النص القرآني:

وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ۙ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (٢٥) اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ (٢٦) وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ۗ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ (٢٧)

(سورة الرعد: ٢٥-٢٧)

أولاً: مرحلة التيسير

({وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ}: أي يخالفون ما التزموا به مع الله من توحيد وطاعة وما عاهدوا عليه الخلق، {مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ}: أي بعد توثيقه وتأكيده بالوعود والأيمان الغليظة أو بالفطرة والعقل، {وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ}: أي يقطعون الأرحام، ويفصمون روابط المودة، ويقطعون صلتهم

بالمنهج الإلهي، {وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ}: أي بنشر الظلم، والصد عن الحق، وتدمير البيئة والمجتمع بالمعاصي، {أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ}: أي الطرد والإبعاد من رحمة الله في الدنيا والآخرة، {وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ}: أي عاقبة الدار السيئة وهي جهنم بما فيها من شقاء، {اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ}: أي يوسعه ويجعله كثيراً وفيراً، {لِمَن يَشَاءُ}: وفق حكمته ومشيئته التي قد تبتلي بالغنى، {وَيَقْدِرُ}: أي يضيق الرزق ويقننه على من يشاء ابتلاءً له بالصبر، {وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا}: أي فرح المفسدون بما نالوه من متاعها فرح فخر وغرور غافلين عن زوالها، {وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ}: أي عند مقارنتها بنعيم الآخرة وبقائها، {إِلَّا مَتَاعٌ}: أي شيء قليل، زائل، يتمتع به المسافر ثم يتركه، {لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ}: أي هلا جاء بمعجزة حسية خارقة للعادة نقترحها نحن، {يُضِلُّ مَن يَشَاءُ}: أي يترك من أعرض وعاند في تيهه، {وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ}: أي يرشد ويوفق للحق من رجع إليه بقلبه واستسلم لأمره).

ثانياً: مرحلة النثر

والذين يخالفون ما التزموا به مع الله من توحيد وطاعة بعد توثيقه وتأكيده بالأيمان، ويقطعون الأرحام وروابط المودة التي أمر الله بها، وينشرون الظلم والفساد في الأرض، فأولئك مطرودون من رحمة الله ولهم عاقبة الدار السيئة في الآخرة. والله هو الذي يوسع الرزق ويوفر المال لمن يشاء، ويضيقه ويقننه على من يشاء وفق حكمته، وقد فرح هؤلاء المفسدون بمتاع الحياة الدنيا فرح غرور، وما هذه الدنيا عند مقارنتها بالآخرة إلا شيء قليل زائل. ويقول الجاحدون: هلا جاء هذا الرسول بمعجزة حسية خارقة نقترحها نحن، فقل لهم: إن الله يترك من أعرض في تيهه، ويرشد ويوفق للحق من رجع إليه بقلبه وأناب.

ثالثاً: مرحلة استخراج المعاني

١. نقض العهد بعد "الميثاق" يمثل أعلى درجات الخيانة المعرفية والأخلاقية.

٢. "القطع" هو السلوك العكسي لـ "الوصل"؛ فبينما يبني المؤمن الجسور، يهدم المفسد الروابط.

٣. الفساد في الأرض هو النتيجة الحتمية لقطع الروابط الإلهية والإنسانية.

٤. "اللعنة" ليست مجرد كلمة، بل هي حالة من "التيه الروحي" وفقدان التوفيق في الحياة.

٥. سعة الرزق (البسط) أو ضيقه (القدر) ليسا معياراً للرضا الإلهي، بل هما "أدوات اختبار".

٦. الفرح بالدنيا الذي يعمي عن الآخرة هو "فرح انحباس" في اللحظة الآنية الزائلة.

٧. وصف الدنيا بـ "المتاع" يحدد قيمتها الوظيفية كـ "وسيلة" لا كـ "غاية".

٨. اقتراح الآيات (المعجزات) هو هروب من مواجهة الحجة العقلية القائمة في القرآن.

٩. "الإنابة" هي المفتاح البشري الوحيد لاستنزال الهداية الإلهية.

١٠. الربط بين "سوء الدار" وبين "الفساد في الأرض" يؤكد عدالة الجزاء من جنس العمل.

١١. مشيئة الله في الإضلال مرتبطة باختيار الإنسان للإعراض (يضل من يشاء).

١٢. العلم بأن الله "يقدر" الرزق يمنع القلق الوجودي ويحارب الجشع.

١٣. الاستغراق في المادة يولد غشاوة تمنع رؤية الحقائق (وفرحوا بالحياة الدنيا).

١٤. "الميثاق" قد يكون فطرياً (العقل) أو تشريعياً (الرسالة)، ونقضه جناية في الحالتين.

١٥. الإفساد في الأرض يبدأ من "النفس" ثم ينتقل إلى "المجتمع" ثم "البيئة".

١٦. المقارنة بين الدنيا والآخرة هي مقارنة بين "النسبي" و"المطلق".

١٧. الإنكار بالرغم من وضوح الآيات هو مرض قلبي وليس نقصاً في الأدلة.

١٨. "الرجوع" (الإنابة) هو اعتراف ضمني بالحاجة إلى التوجيه العلوي.

١٩. الله يدير شؤون الاقتصاد الكوني (الرزق) لضبط التوازنات البشرية.

٢٠. عاقبة "اللعنة" تبدأ في الدنيا بفساد البال وتنتهي في الآخرة بسوء الدار.

رابعاً: مرحلة استنطاق الأحكام

١. تحريم نقض العهود والمواثيق المؤكدة (الدليل: والذين ينقضون عهد الله).

٢. وجوب صلة الأرحام وحرمة القطيعة (الدليل: ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل).

٣. حرمة السعي بالفساد في الأرض بكافة أشكاله المادية والمعنوية (الدليل: ويفسدون في الأرض).

٤. وجوب الرضا بقدر الله في الرزق سعتاً وضيقاً (الدليل: الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر).

٥. لزوم الإنابة والرجوع لله كشرط لنيل الهداية (الدليل: ويهدي إليه من أناب).

خامساً: مرحلة القواعد الكلية

١. قاعدة الأمانة التعاقدية: استقرار المجتمعات مرهون بالوفاء بالمواثيق (الأساس: من بعد ميثاقه).

٢. قاعدة الابتلاء بالمال: الغنى والفقر توزيعات إلهية لتمحيص النفوس (الأساس: يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر).

٣. قاعدة ضآلة المادة: القيمة الحقيقية للأشياء تظهر عند مقارنتها بالغايات الخالدة (الأساس: وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع).

٤. قاعدة الاستحقاق الهدائي: الهداية ثمرة للطلب والتوجه النفسي (الأساس: ويهدي إليه من أناب).

٥. قاعدة الجزاء الملازم: من أفسد علاقاته (الوصل) أفسد حياته (الدار) (الأساس: ويقطعون.. ويفسدون.. لهم اللعنة).

الأبعاد الإنسانية والحضارية

١. بُعد الاستقامة البنيوية (تماسك النسيج الاجتماعي)

- حقيقته: التحذير من "القطع" و"النقض" كمعاول لهدم المجتمع؛ فالمجتمع الذي لا يفي بمواثيقه ويقطع أرحامه هو مجتمع آيل للسقوط الأخلاقي والمادي.
- أصله: قوله (ينقضون عهد الله.. ويقطعون)؛ وهذا يخدم الإنسان في بناء "رأس مال اجتماعي" يقوم

على الثقة والترابط، وهو أساس أي نهضة اقتصادية أو سياسية.

٢. بُعد التوازن الاقتصادي (سيكولوجية الوفرة والندرة)

- حقيقته: تحرير الإنسان من "عبودية الرزق" ومنحه توازناً نفسياً في حالتي الغنى والفقر، مما يمنع الجريمة الناتجة عن الحاجة، ويمنع الطغيان الناتج عن الوفرة.
- أصله: قوله (الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر)؛ وهذا يوجه البشرية نحو إدارة الموارد بروح "الاستخلاف" لا بروح "التملك المطلق"، مما يقلل من حدة الصراعات المادية.

٣. بُعد الوعي القيمي (تصحيح معايير النجاح)

- حقيقته: إعادة تعريف "السعادة"؛ فالفرح بالدنيا فقط هو فرح منقوص وقصير المدى، بينما النجاح الحقيقي هو الذي يتصل بالغاية الكبرى (الآخرة).

- أصله: قوله (وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا.. إلا متاع)؛ وهذا يمنع الإنسان من الانزلاق في مستنقع "المادية المفرطة" التي تستهلك روحه، ويشجعه على الاستمتاع بالحياة ك "متاع" هادف وليس ك "سجن" مادي.

٤. بُعد الهداية التفاعلية (المبادرة الفردية)

- حقيقته: التأكيد على أن "الحقيقة" ليست شيئاً يُفرض قسراً بالمعجزات، بل هي استجابة لقلب "منيب" باحث عن الحق.

- أصله: قوله (يهدي إليه من أناب)؛ وهذا يكرس قيمة "الحرية الفكرية" والمسؤولية الشخصية عن البحث عن اليقين، ويرفض عقلية "الانتظار السلبي" للمعجزات لتغيير القناعات.

٥. بُعد مكافحة الفساد الشامل (الوقاية الحضارية)

- حقيقته: الربط الجوهري بين "الفساد في الأرض" وبين "اللعنة" (الإبعاد عن النجاح الحقيقي)، مما

يجعل مكافحة الفساد ضرورة وجودية لا مجرد خيار قانوني.

- أصله: قوله (ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة)؛ وهذا يرسخ في الوعي الجمعي أن الإفساد (سواء كان بيئياً، إدارياً، أو أخلاقياً) هو طريق مسدود يؤدي لخراب "الدار" الكبرى، مما يحفز على "الإصلاح" كفعل يومي.

طمأنينة القلوب وعظمة القرآن (٢٨-٣١)

النص القرآني:

الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (٢٨) الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ (٢٩) كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ (٣٠) وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ (٣١)

(سورة الرعد: ٢٨-٣١)

أولاً: مرحلة التيسير

({الَّذِينَ آمَنُوا}: أي صدقوا بقلوبهم وأقروا بتوحيد ربهم، {وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم}: أي تسكن وتستقر وتزول عنها الحيرة والقلق، {بِذِكْرِ اللَّهِ}: أي بذكر أسمائه وصفاته وتلاوة كتابه واستحضار عظمته، {أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ}: تنبيه وتأكيد على أن هذا هو الطريق الوحيد والحصري للسكون النفسي الحقيقي، {طُوبَىٰ لَهُمْ}: أي لهم العيش الطيب، والراحة، والجنة، وقيل هي شجرة في الجنة، {وَحُسْنُ مَآبٍ}: أي مرجع ومصير جميل عند الله، {أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ}: أي مضت وانقضت من قبلها جماعات، {لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ}: أي لتقرأ وتبلغهم الوحي، {يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ}: أي يجحدون بصفة الرحمة الواسعة التي شملتهم، {مَتَابِ}: أي مرجعي وتوبتي وإنابتي، {سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ}: أي زحزحت عن أماكنها بقوته، {قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ}: أي شققت فجعلت أنهاراً أو طويت مسافاتها، {كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ}: أي نطقوا بعد مواتهم من عظمة تأثيره، {أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا}: أي أفلم يعلم ويتبين المؤمنون ويقطعوا طمعهم في إيمان المعاندين، {قَارِعَةٌ}: أي داهية أو مصيبة شديدة تقرعهم وتنبههم أو تهلكهم، {تَحُلُّ

قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ}: أي تنزل المصائب في جيرانهم لعلهم يعتبرون، {وَعْدُ اللَّهِ}: أي النصر الموعود أو يوم القيامة).

ثانياً: مرحلة النشر

الذين صدقوا بقلوبهم وأقروا بتوحيد ربهم تسكن وتستقر نفوسهم وتزول حيرتهم بذكر الله واستحضار عظمته، فبذكر الله وحده تطمئن القلوب. والذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح لهم العيش الطيب والجنة ومصير جميل عند الله. وكما أرسلنا الرسل من قبلك، أرسلناك في أمة مضت قبلها أمم لتقرأ عليهم ما أوحينا إليك من القرآن وهم يجحدون بصفة الرحمة الواسعة، فقل لهم: هو ربي المنفرد بالألوهية، عليه اعتمدت وإليه مرجعي وتوبتي. ولو كان هناك كتاب تزال به الجبال عن أماكنها أو تشق به الأرض أو يحيى به الموتى لكان هذا القرآن لعظمته، لكن الأمر كله لله وحده، أفلم يعلم المؤمنون ويقطعوا طمعهم في إيمان هؤلاء لعلمهم أن الله لو أراد لهدى الناس جميعاً، ولا تزال المصائب الشديدة تنزل بالجاحدين بسبب ما

صنعوا أو تنزل قريباً من ديارهم ليعتبروا حتى يأتي نصر الله ووعده الحق، إن الله لا يخلف ميعاده.

ثالثاً: مرحلة استخراج المعاني

١. الطمأنينة هي أسمى مراتب الصحة النفسية، ومصدرها الاتصال بالمطلق (الذكر).

٢. حصر الطمأنينة في "ذكر الله" دلالة على أن المادة مهما كثرت لا تشبع جوع الروح.

٣. "طوبى" تعبر عن السعادة الشاملة التي تبدأ من الدنيا وتمتد للآخرة.

٤. إقران الإيمان بالعمل الصالح (وعملوا الصالحات) شرط لتحول "المآب" من حال إلى حال أفضل.

٥. "الرحمن" اسم اختاره النص لبيان فداحة الكفر؛ فهم يكفرون بمن يفيض عليهم بالرحمة.

٦. التوكل والإنابة (عليه توكلت وإليه متاب) هما جناحا العبودية الحقة.

٧. القرآن يمتلك "طاقة تغييرية" لو قدرت لغيرت فيزياء الكون (تسيير الجبال).

٨. عجز البشر عن الاستجابة للقرآن ليس لنقص في طاقته، بل لانغلاق في مستقبلاتهم.

.. "يأس المؤمنين" من هداية المعاندين هو وعي بسنة "الاختيار البشري" والمشيئة الإلهية.

١٠. "القوارع" ليست مجرد انتقام، بل هي رسائل تنبيه كونية (بما صنعوا).

١١. نزول المصيبة "قريباً من الدار" فرصة تربوية للاعتبار بغيرنا قبل أن تحل بنا.

١٢. ذكر الله يشمل الذكر اللساني، والتدبري، واستشعار الرقابة في كل فعل.

١٣. "حسن مآب" توحي بالرجوع إلى الموطن الأصلي للإنسان بسلام وكرامة.

١٤. الرسالة المحمدية ليست بدعاً من الأمر، بل هي حلقة في سلسلة أمم "قد خلت".

١٥. "بل لله الأمر جميعاً" قاعدة لكسر حدة التطلع للمعجزات المادية؛ فالقرار إلهي بامتياز.

١٦. الثبات على التوحيد في وجه الجحود يتطلب إعلاناً صريحاً للقناعة (قل هو ربي).

١٧. الربط بين "الصناعة البشري" (بما صنعوا) وبين "النتيجة القدرية" (قارعة).

١٨. الإيمان بالله يمنح الإنسان "مرونة نفسية" أمام تقلبات الحياة.

١٩. الله لا يحتاج لمعجزات قسرية لهداية الناس؛ فالهداية الحقيقية تنبع من الاقتناع.

٢٠. اليقين بـ "وعد الله" هو الذي يثبت المؤمنين وقت نزول القوارع بغيرهم.

رابعاً: مرحلة استنطاق الأحكام

١. وجوب تعاهد القلب بذكر الله لتحقيق السكينة النفسية (الدليل: ألا بذكر الله تطمئن القلوب).

٢. لزوم الجمع بين الاعتقاد القلبي والجهد البدني لنيل رغد العيش (الدليل: آمنوا وعملوا الصالحات).

٣. وجوب التوكل على الله وحده في مواجهة تكذيب المعارضين (الدليل: عليه توكلت).

٤. تحريم اليأس من عدالة الله وتصديق ميعاده مهما تأخر النصر (الدليل: إن الله لا يخلف الميعاد).

٥. مشروعية الاعتبار بما يحل بالآخرين من أزمات لتصحيح المسار الخاص (الدليل: أو تحل قريباً من دارهم).

خامساً: مرحلة القواعد الكلية

١. قاعدة الأثر النفسي للوحي: القرآن هو المهدئ الأكبر للاضطرابات الروحية (الأساس: تطمئن قلوبهم).

٢. قاعدة المشيئة والحكمة: الهداية فعل إرادي بشري وتوفيق إلهي لا يُفرض قسراً (الأساس: لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً).

٣. قاعدة السببية في البلاء: المصائب العامة لها جذور في سلوكيات الأفراد والأمم (الأساس: تصيبهم بما صنعوا).

٤. قاعدة الثبات على المبدأ: الداعية يواجه الجحود بمزيد من الإقرار بالربوبية (الأساس: قل هو ربي لا إله إلا هو).

٥. قاعدة العظمة الذاتية للنص: قوة القرآن نابعة من ذاته لا من استجابة الناس له (الأساس: ولو أن قرآناً سيرت به الجبال).

---

١. بُعد الاستقرار النفسي (الأمن الروحي)

- حقيقته: تقديم علاج جذري للقلق المعاصر (Anxiety) من خلال "الذكر"؛ فربط المحدود (الإنسان) بالمطلق (الله) يمنحه سكوناً لا تزعزعه عوارض الدنيا.

- أصله: قوله (تطمئن قلوبهم بذكر الله)؛ وهذا يخدم الإنسان في بناء "صلابة نفسية" تجعله منتجاً ومبدعاً حتى في ظل الأزمات، لأن قلبه موصول بمصدر القوة والسكينة.

٢. بُعد الجودة الحياتية (مفهوم طوبى)

- حقيقته: التأكيد على أن الحياة "الطيبة" (الرفاه الحقيقي) هي ثمرة لثنائية "الإيمان والعمل"؛ فالنمو المادي بلا إيمان هو رفاه منقوص، والإيمان بلا عمل هو تنظير معطل.

- أصله: قوله (آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم)؛ وهذا يوجه البشرية نحو "التنمية الشاملة" التي تزاوج

بين القيم الروحية والرفاه المادي لتحقيق السعادة القصوى.

٣. بُعد الوعي التاريخي والاجتماعي (الاعتبار بالغير)

- حقيقته: ترسيخ مبدأ المراقبة والتحليل لما يحدث في "المجتمعات المجاورة" لاستنتاج القوانين التي تؤدي للانهيار أو النهوض.
- أصله: قوله (أو تحل قريباً من دارهم حتى يأتي وعد الله)؛ وهذا يطور في الإنسان "الحس التاريخي" والوقائي، فيجعل من أزمات الآخرين "دروساً تعليمية" (Lessons Learned) تمنعه من تكرار ذات الأخطاء الصانعة للانهيار.

٤. بُعد القوة التأثيرية للفكر (سلطة الكلمة)

- حقيقته: بيان أن "الكلمة والحق" يمتلكان طاقة تفوق طاقة الطبيعة (تسيير الجبال)، مما يعلي من شأن الثقافة والوحي في بناء الحضارة.

- أصله: قوله (ولو أن قرآناً سيرت به الجبال)؛ وهذا يحفز البشرية على استمداد قوتها من "الأفكار والمبادئ" السامية، واعتبارها المحرك الحقيقي لتغيير الواقع الجغرافي والبشري.

٥. بُعد المسؤولية عن الأفعال (قانون القارعة)

- حقيقته: ربط الكوارث بـ "الصناعة البشرية" (بما صنعوا)، وهو ما يتفق مع المنطق العلمي الحديث في أن سوء إدارة الموارد والظلم يؤدي لانهيارات بيئية واجتماعية.

- أصله: قوله (تصيبهم بما صنعوا قارعة)؛ وهذا يرسخ مبدأ "المسؤولية الأخلاقية" في ممارسة السلطة والعلم، ويحذر من أن العبث بالسنن الكونية والاجتماعية سيؤدي حتماً إلى قوارع تصيب الاستقرار الحضاري.

الاستهزاء بالرسل وعاقبة المكر (٣٢-٣٥)

النص القرآني:

وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ (٣٢) أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٣) لَّهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ (٣٤) ۞ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوا ۖ وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ (٣٥)

(سورة الرعد: ٣٢-٣٥)

أولاً: مرحلة التيسير

({اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ}: السخرية، {فَأَمْلَيْتُ}: أمهلتُ وأطلتُ لهم المدة، {أَخَذْتُهُمْ}: عاقبتُهم، {عِقَابِ}: نكالي وعذابي،

{قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ}: حفيظٌ ورقيبٌ ومدبرٌ، {بِمَا كَسَبَتْ}: ما عملتْ وفعلتْ، {سَمُّوهُمْ}: اذكروا أسماءهم وصفتهم، {تُنَبِّئُونَهُ}: تخبرونه، {بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ}: قولٌ باطل بلا حقيقة، {زُيِّنَ}: حُسِّنَ في أعينهم، {مَكْرُهُمْ}: كيدهم وخداعهم، {صُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ}: مُنعوا وصُرفوا عن الطريق، {هَادٍ}: مرشد وموفق، {أَشَقُّ}: أشد وأصعب، {وَاقٍ}: دافع أو مانع يحميهم، {الْمُتَّقُونَ}: الذين اتقوا العذاب والشرك، {أُكُلُهَا دَائِمٌ}: ثمارها لا تنقطع، {عُقْبَى}: عاقبة ومصير).

ثانياً: مرحلة النثر

ولقد حدثت السخرية برسل من قبلك فأمهلتُ وأطلتُ المدة للذين كفروا ثم عاقبتُهم فكيف كان نكالي وعذابي؟ أفمن هو حفيظ ورقيب ومدبر لكل نفس بما عملت وفعلت كغيره؟ وقد جعلوا لله شركاء فقل لهم اذكروا أسماءهم وصفتهم، أم تخبرونه بما لا يعلم في الأرض أم تقولون قولاً باطلاً بلا حقيقة،

بل حُسِّنَ في أعين الذين كفروا كيدهم وخداعهم وصُرفوا عن الطريق، ومن يضلله الله فما له من مرشد وموفق. لهم عذاب في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أشد وأصعب وما لهم من الله من دافع أو مانع يحميهم. وصورة الجنة التي وُعد بها الذين اتقوا العذاب والشرك تجري من تحتها الأنهار ثمارها لا تنقطع وظلها باقٍ، تلك عاقبة ومصير الذين اتقوا وعاقبة الكافرين النار.

ثالثاً: مرحلة استخراج المعاني

١. الاستهزاء بالمنهج الحق ظاهرة تاريخية متكررة لا تضعف من قيمة النص.

٢. "الإملاء" (الإمهال) استدراج قد يظنه الظالم تمكيناً وهو مقدمة للأخذ.

٣. "القيومية" تعني الإحاطة الكاملة بالفعل البشري (بما كسبت) والجزاء عليه.

٤. عجز المشركين عن "التسمية" الواصفة لشركائهم برهان على عدم وجود حقيقة لمعبوداتهم.

٥. "ظاهر القول" هو الحديث السطحي الذي لا يستند إلى برهان أو حقيقة موضوعية.

٦. تزيين المكر هو أخطر مراحل الضلال؛ حيث يرى المخطئ خطأه كمالاً.

٧. "الصد عن السبيل" نتيجة حتمية للانغماس في التزيين الباطل.

٨. عذاب الدنيا (القلق، الهزيمة، الشقاء) هو نموذج مصغر لعذاب الآخرة "الأشق".

٩. "الوقاية" من الله مستحيلة إذا وجب الحساب؛ فلا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع.

١٠. صفة "الدوام" في أكل الجنة وظلها تميزها عن لذات الدنيا المنقطعة.

١١. الربط بين "التقوى" و"الأكل الدائم والظل" يوضح التناسب بين كبح الشهوات والنعيم.

١٢. "الأخذ" الإلهي يتناسب في شدته مع فترة "الإملاء" الممنوحة.

١٣. التساؤل عن "كيف كان عقاب" دعوة لاستقراء التاريخ والاعتبار بالمصائر.

١٤. نفي العلم الإلهي بوجود شركاء (بما لا يعلم) هو نفي لوجودهم أصلاً.

١٥. الضلال هنا عقوبة على المكر المزين، وليس فعلاً ابتدائياً من الخالق.

١٦. المشقة في الآخرة روحية وجسدية (أشق) تتجاوز قدرة الاحتمال البشري.

١٧. "ظل الجنة" يرمز للسكينة والحماية من هجير العناء الوجودي.

١٨. "تلك عقبى" إشارة للنتيجة النهائية التي تغلق ملفات الصراع الدنيوي.

١٩. الجنة ليست مجرد مكان، بل هي "وعد" لمن اتقى، ومسؤولية قائمة على العمل.

٢٠. استواء الرقابة على "كل نفس" يحقق العدالة المطلقة التي لا يغيب عنها كسب واحد.

رابعاً: مرحلة استنطاق الأحكام

١. حرمة الاستهزاء بالرسل والشرائع والمصلحين (الدليل: ولقد استهزئ برسل).

٢. وجوب الحذر من الاغترار بإمهال الله للظالمين (الدليل: فأمليت للذين كفروا ثم أخذتهم).

٣. لزوم إقامة الحجة العقلية والبرهان على صحة الأفكار والاعتقادات (الدليل: قل سموهم).

٤. وجوب التقوى كسبيل وحيد للنجاة من النار ونيل النعيم المقيم (الدليل: تلك عقبى الذين اتقوا).

٥. تحريم المكر والكيد بالحق واعتباره سبباً في الصد عن سبيل الله (الدليل: زين للذين كفروا مكرهم).

خامساً: مرحلة القواعد الكلية

١. قاعدة الاستدراج الزماني: التأخير في العقوبة ليس إهمالاً بل إمهالاً (الأساس: فأمليت.. ثم أخذت).

٢. قاعدة بطلان ما لا حقيقة له: كل ادعاء يفتقر للتسمية والوصف الموضوعي هو باطل (الأساس: قل سموهم).

٣. قاعدة الانعكاس النفسي: المفسد يرى إفساده إصلاحاً بسبب التزيين الداخلي (الأساس: زين للذين كفروا مكرهم).

٤. قاعدة الاستمرارية الجزائية: نعيم الحق دائم لا انقطاع فيه (الأساس: أكلها دائم وظلها).

٥. قاعدة المسؤولية الفردية: الجزاء مرتبط بمقدار الكسب الفردي (الأساس: قائم على كل نفس بما كسبت).

الأبعاد الإنسانية والحضارية

١. بُعد الرقابة الوجودية (الشفافية المطلقة)

- حقيقته: ترسيخ فكرة أن كل كسب بشري (اقتصادي، سياسي، أخلاقي) مرصود بدقة، مما ينمي النزاهة في غياب الرقابة البشرية.
- أصله: قوله (أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت)؛ وهذا يمنح الحضارة أفراداً يراقبون أنفسهم ذاتياً، مما يقلل من تكلفة الضبط القانوني ويزيد من جودة المخرجات الإنسانية.

٢. بُعد الأمن الفكري (محاربة الزيف)

- حقيقته: نقد الأفكار القائمة على "ظاهر القول" دون جوهر حقيقي، ومطالبة الخصوم بتعريف مصطلحاتهم وكياناتهم بوضوح.

- أصله: قوله (قل سموهم.. أم بظاهر من القول)؛ وهذا يؤسس لنهضة فكرية تقوم على "البرهان" و"المصداقية"، ويرفض التضليل الإعلامي أو السياسي الذي يعتمد على الشعارات الجوفاء.

٣. بُعد الاستقرار النفسي (مفهوم الدوام)

- حقيقته: توجيه الطموح البشري نحو الغايات "الدائمة" وليس "الزائلة"، مما يقلل من القلق المرتبط بفقدان المكتسبات المادية في الدنيا.

- أصله: قوله (أكلها دائم وظلها)؛ وهذا يمنح الإنسان توازناً في التعامل مع موارد الأرض، فلا يستميت عليها بظلم، لعلمه أن النعيم الحقيقي هو الذي يتصف بالديمومة والاستقرار.

٤. بُعد العدالة التاريخية (الاعتبار بالمصائر)

- حقيقته: النظر في مآلات الأمم السابقة التي استهزأت بالقيم الكبرى، لإدراك أن القوة المادية لا تمنع سقوط الحضارات إذا فقدت روحها الأخلاقية.

- أصله: قوله (فكيف كان عقاب)؛ وهذا يزود القادة والمفكرين بـ "رؤية استراتيجية" تحذر من الغرور بالقوة الممنوحة (الإملاء)، وتدعو للالتزام بالحق كضمانة للبقاء.

٥. بُعد الوقاية المجتمعية (منهج التقوى)

- حقيقته: جعل "التقوى" (وهي الكبح الواعي للنزوات والشرور) معياراً للعاقبة المحمودة للمجتمع، مما يضمن استمرارية "الظل" الحضاري الوارف.

- أصله: قوله (تلك عقبى الذين اتقوا)؛ وهذا يحول التقوى من مفهوم فردي إلى "مشروع مجتمعي" يهدف لحماية الإنسان من "النار" الاجتماعية (النزاعات والانهيارات) وإيصاله إلى "جنة" الاستقرار والرخاء.

الاستمساك بالوحي ومواجهة الأحزاب (٣٦-٣٩)

النص القرآني:

وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ ۚ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ (٣٦) وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ (٣٧) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجاً وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ (٣٨) يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (٣٩)

(سورة الرعد: ٣٦-٣٩)

أولاً: مرحلة التيسير

({وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ}: المنصفون من أهل الكتب السابقة يبتهجون بالقرآن لموافقته ما عندهم، {وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ}: وطوائف المعاندين

يجحدون أجزاءً منه، {قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ}: مأمور بالتوحيد الخالص ونبذ الشركاء، {إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ}: ندائي لله وحده ومرجعي إليه، {وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا}: أنزلناه شريعة ومنهاجاً بلسان عربي مبين، {وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ}: لو ملت لميولهم بعد يقين الوحي، {مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ}: لن تجد ناصراً أو حامياً من الله، {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجاً وَذُرِّيَّةً}: الرسل بشر لهم عائلات وليسوا ملائكة، {وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ}: المعجزات بمشيئة الخالق لا بمقترح البشر، {لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ}: لكل وقت حدث مكتوب وقضاء مقدر، {يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ}: ينسخ الأحكام أو الأقدار ويقرر ما يريد، {وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ}: أصل العلم واللوح المحفوظ الذي لا يتبدل).

ثانياً: مرحلة النشر

والذين أعطيناهم الكتب السابقة يبتهجون بما أُنزل إليك لموافقته للحق، ومن طوائف المعاندين من يجحدون بعض ما في القرآن، فقل لهم: إنما كُلفت بتوحيد الله وعدم الإشراك به، فإليه وحده أوجه دعوتي وإليه مرجعي. وكما أرسلنا قبلك أرسلنا هذا القرآن شريعة ومنهاجاً بلسان عربي مبين، ولو ملت لميول هؤلاء وأهوائهم بعد ما وصلك من العلم اليقيني، فلن تجد لك من الله ناصراً ينصرك أو حامياً يحميك. ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً من البشر وجعلنا لهم زوجات وأبناء، وما كان لأي رسول أن يأتي بمعجزة من تلقاء نفسه بل بإذن الله وحده، فلكل وقت زمانه ولكل حدث حكمه المكتوب. يبدل الله ما يشاء من أحكام وأقدار ويقر ما يشاء، وعنده وحده أصل العلم والكتاب الثابت الذي لا يتبدل.

ثالثاً: مرحلة استخراج المعاني

١. الفرح بالوحي علامة على سلامة الفطرة والارتباط بالأصل المعرفي الواحد للرسالات.

٢. "الأحزاب" يمثلون العقلية الجمعية المنغلقة التي تعادي الحق دفاعاً عن مصالحها.

٣. حصر المهمة في "العبادة وترك الشرك" يقطع الطريق على الجدال الفرعي العقيم.

٤. وصف القرآن بـ "الحكم" يشير إلى وظيفته السيادية والتنظيمية في حياة البشر.

٥. استخدام "العربي" للبيان يبرز أهمية اللغة كوعاء للأفكار والتشريعات.

٦. "العلم" هو الحصن الذي يحمي القادة والمفكرين من الانزلاق خلف "الأهواء" الشعبوية.

٧. تجريد الرسل من صفات الألوهية (أزواجاً وذرية) يرسخ مفهوم "البشرية الملهمة".

٨. ارتهان الآية (المعجزة) بالإذن الإلهي يحرر الرسالة من مطالب التحدي المادي المستمر.

٩. "لكل أجل كتاب" قانون ينظم التوقعات البشرية؛ فلكل تغير زمانه الخاص.

١٠. "المحو والإثبات" يمثل مرونة التشريع والقدر الإلهي في مقابل ثبات "أم الكتاب".

١١. التحذير من اتباع الأهواء موجه للأمة في شخص نبيها، تعظيماً للمسؤولية.

١٢. "المآب" الفردي هو الدافع الأكبر للثبات على المبدأ (إليه أدعو وإليه مآب).

١٣. القرآن ليس نصاً أدبياً فحسب، بل هو "مرجع قانوني" (حكماً).

١٤. اعتراف أهل الكتاب بالقرآن هو "شهادة تاريخية" على وحدة المصدر.

١٥. لا "ولاية" ولا "وقاية" لمن يفرط في العلم اليقيني اتباعاً للمصالح العابرة.

١٦. الزوجة والذرية للرسل تأكيد على أن الدين لا يصادم الفطرة الاجتماعية.

١٧. العلم المحيط (أم الكتاب) هو المرجع النهائي الذي تنتهي عنده كل التغيرات.

١٨. الإيمان بـ "القدر المكتوب" يطفئ نار الاستعجال في تحقيق النتائج.

١٩. إنكار "البعض" من الوحي هو مدخل لنقض "الكل" في الفكر المنحرف.

٢٠. التوحيد الخالص هو "الجوهر" الذي لا يقبل المساومة مهما كانت الضغوط.

رابعاً: مرحلة استنطاق الأحكام

١. وجوب التمسك بالعلم اليقيني وحرمة اتباع الأهواء المخالفة للحق (الدليل: ولئن اتبعت أهواءهم).

٢. لزوم إخلاص العبادة لله وحده ونبذ كافة أشكال الشرك (الدليل: أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به).

٣. وجوب الإيمان ببشرية الرسل وعدم إخراجهم عن حدود الطبيعة البشرية (الدليل: جعلنا لهم أزواجاً وذرية).

٤. مشروعية نسخ الأحكام أو تبديل الأقدار حسب المشيئة الإلهية (الدليل: يمحو الله ما يشاء ويثبت).

٥. لزوم الرجوع إلى القرآن كمرجع في الحكم والتشريع (الدليل: أنزلناه حكماً عربياً).

خامساً: مرحلة القواعد الكلية

١. قاعدة المرجعية العلمية: العلم هو الضابط للسلوك، والأهواء هي المفسدة له (الأساس: بعد ما جاءك من العلم).

٢. قاعدة الوظيفة الاجتماعية للدين: التدين لا يقتضي الانقطاع عن الحياة الأسرية (الأساس: وجعلنا لهم أزواجاً وذرية).

٣. قاعدة التوقيت القدري: الأحداث مرتبطة بأزمانها المقدرة لا برغبات البشر (الأساس: لكل أجل كتاب).

٤. قاعدة الثبات والتحول: في الوجود متغيرات محكومة بمشيئة الله وثوابت محفوظة عنده (الأساس: يمحو الله ما يشاء ويثبت).

٥. قاعدة الولاية المشروطة: نصرة الله وحمايته مرهونة بالاستقامة على منهجه (الأساس: ما لك من الله من ولي ولا واق).

الأبعاد الإنسانية والحضارية

١. بُعد السيادة التشريعية (الحكم العربي)

- تقديم القرآن كمنظومة "حكم" قادرة على فض النزاعات وتنظيم شؤون الحياة بلغة واضحة، مما يؤسس لمفهوم "دولة القانون" المبني على الوحي.

٢. بُعد التوازن الفطري (قدوة البشرية)

- نزع صفة الأساطير عن القادة الروحيين وتصويرهم في سياقهم الإنساني الطبيعي (أزواج وذرية)، مما يسهل عملية الاقتداء والانسجام الاجتماعي.

٣. بُعد الحماية من الضغط الجمعي (مقاومة الأهواء)

- تحصين المصلحين والمفكرين من الخضوع لضغوط "الأحزاب" أو التيارات الغوغائية إذا كانت تخالف العلم الثابت والحق اليقيني.

٤. بُعد المرونة والاستقرار (فلسفة المحو والإثبات)

- الاعتراف بأن الحياة تتطلب تغييراً في الوسائل والتشريعات الظرفية (المحو والإثبات) مع الاستناد المرجعي الدائم إلى قيم ثابتة (أم الكتاب).

٥. بُعد الانفتاح المعرفي (الفرح بلقاء الحق)

- تشجيع روح الإنصاف والاعتراف بالحق لدى الآخر، واعتبار التوافق المعرفي بين الوحي والعلم والكتب السابقة سبباً للبهجة والتعاون الإنساني.

وعيد المكذبين وشهادة الله (٤٠-٤٣)

النص القرآني:

وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ (٤٠) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٤١) وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ (٤٢) وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ (٤٣)

(سورة الرعد: ٤٠-٤٣)

أولاً: مرحلة التيسير

({وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ}: إن أظهرنا لك في حياتك ما توعدناهم به من عقاب، {أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ}: أو

قبضنا روحك قبل رؤية ذلك، {فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ}: فمهمتك تنتهي عند إيصال الرسالة، {وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ}: وجزاؤهم موكول إلينا وحدنا، {نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا}: نفتح البلاد للمؤمنين ونقلل مساحة سيطرة الكفر أو نُهلك الأمم من جوانبها، {لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ}: لا رادّ لقضائه ولا مبطل لأمره، {سَرِيعُ الْحِسَابِ}: محصي الأعمال ومجازٍ عليها بلا تأخير، {فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا}: له التدبير الغالب والمحيط الذي يبطل كيدهم، {يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ}: محيط بما تعمله القلوب والجوارح، {لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ}: من الذي سينال الفوز والقرار الأخير، {كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا}: حسبنا الله شاهداً على صدقي، {وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ}: والمنصفون العالمين بالكتب السابقة يشهدون بحقيقة نبوتي).

ثانياً: مرحلة النشر

سواء أريناك في حياتك بعض ما نعد هؤلاء المعاندين من العذاب، أو قبضنا روحك قبل ذلك، فما أنت إلا مبلغ للرسالة، وعلينا نحن وحدنا حسابهم. أولم يشاهدوا عظيم قدرتنا في أننا نفتح الأرض للمؤمنين وننقصها من أطراف الكافرين بهلاكهم وغلبة الحق عليهم، والله وحده هو الذي يحكم بين خلقه، فلا رادّ لقضائه ولا مبطل لأمره، وهو سريع الإحصاء والمجازاة. ولقد دبر الذين من قبلهم المكائد، ولكن لله وحده التدبير الغالب والمحيط بكل كيد، وهو يعلم ما تعمله كل نفس من خير أو شر، وسيعلم هؤلاء الجاحدون قريباً من الذي له العاقبة المحمودة والقرار الأخير. ويقول الذين جحدوا: لست مبعوثاً من الله، فقل لهم: كفى بالله شاهداً على صدقي وبلاغي، وكذا من عنده علم بالكتب السابقة يشهد بأن ما جئت به هو الحق.

ثالثاً: مرحلة استخراج المعاني

١. الفصل التام بين "الوظيفة البشرية" (البلاغ) و"النتيجة الإلهية" (الحساب) يحرر الداعية من القلق النتائجي.

٢. بقاء المنهج واستمراره لا يرتهن بحياة صاحبه؛ فالحساب قائم سواء شهد الرسول العقاب أو توفي قبله.

٣. "نقص الأرض من أطرافها" سنة كونية وتاريخية توضح انحسار الباطل أمام تمدد الحق.

٤. سيادة الحكم الإلهي (لا معقب لحكمه) تلغي فكرة الحصانة المادية أمام القدر.

٥. "سرعة الحساب" تدل على الإحاطة الرقمية والزمنية الدقيقة بكل فعل بشري.

٦. المكر البشري جزئي وضعيف، بينما المكر الإلهي (التدبير) شامل ومهيمن.

٧. "كسب النفس" هو المادة الخام التي يُبنى عليها "علم الله" ومجازاته.

٨. "عقبى الدار" هي المعيار الحقيقي للنجاح، وليست المكاسب الدنيوية العابرة.

٩. شهادة الله هي "التوثيق الوجودي" الأسمى الذي لا يحتاج بعده المؤمن لشهادة أحد.

١٠. "من عنده علم الكتاب" إشارة إلى وحدة المصدر المعرفي للنبوات كشاهد تاريخي.

١١. الخطاب في "سيعلم الكفار" يحمل نبرة وعيد شديدة تزلزل ثقة الظالم بمركزه.

١٢. الله يتدخل في الجغرافيا السياسية (نقص الأطراف) نصرةً للحق وتأديباً للمكذبين.

١٣. الحق لا يحتاج لإقناع المعاندين بقدر حاجته لإقامة الحجة عليهم (البلاغ).

١٤. "علم الكتاب" رتبة معرفية تجعل صاحبها أهلاً لشهادة الحق وتصديق الوحي.

١٥. الربط بين "المكر" و"علم ما تكسب كل نفس" يوضح أن التدبير الإلهي يقوم على كشف النوايا.

١٦. اليقين بـ "الشهيد الإلهي" يمنح المؤمن صلابة في مواجهة التكذيب الجماعي.

١٧. انتهاء السورة بـ "علم الكتاب" هو رد للعجز البشري إلى العلم المطلق.

١٨. "الشهادة" هنا فعل حضاري يربط بين السماء (الله) وبين العقل المستنير (عالم الكتاب).

١٩. التحدي في "قل كفى بالله" هو ذروة الاستغناء بالله عن الخلق.

٢٠. الدار الآخرة هي "المنزل الحقيقي" الذي تنكشف فيه حقائق الفوز والخسران.

رابعاً: مرحلة استنطاق الأحكام

١. لزوم الثبات على البلاغ والدعوة دون اشتراط رؤية النتائج (الدليل: فإنما عليك البلاغ).

٢. وجوب الرضا المطلق بحكم الله وقضائه لليقين بعدم وجود رادّ له (الدليل: لا معقب لحكمه).

٣. تحريم المكر والكيد مع اليقين بأن مكر الله محيط بكل تدبير (الدليل: فلله المكر جميعاً).

٤. مشروعية الاستشهاد بشهادة الله وبالعلماء والمنصفين لإثبات الحق (الدليل: كفى بالله شهيداً ومن عنده علم الكتاب).

٥. وجوب الاستعداد لسرعة الحساب الإلهي بمراقبة ما تكسبه النفس (الدليل: وهو سريع الحساب).

خامساً: مرحلة القواعد الكلية

١. قاعدة حتمية الانحسار: الباطل يتآكل من أطرافه حتى يتلاشى في المركز (الأساس: ننقصها من أطرافها).

٢. قاعدة الانفراد بالحساب: الحساب وظيفة إلهية محضة لا يشارك فيها البشر (الأساس: وعلينا الحساب).

٣. قاعدة الهيمنة التدبيرية: لا ينفذ من مكر الخلق شيء إلا ما أراد الله إنفاذه (الأساس: فلله المكر جميعاً).

٤. قاعدة الاستغناء بالشهادة العليا: شهادة الحق تكتسب قيمتها من مصدرها لا من كثرة المصدقين (الأساس: كفى بالله شهيداً).

٥. قاعدة السيادة القدرية: القضاء الإلهي باتٌّ ونهائي ولا يقبل المراجعة البشرية (الأساس: لا معقب لحكمه).

الأبعاد الإنسانية والحضارية

١. بُعد التحرر من النتائج (إخلاص المهمة)

- حقيقته: توجيه الإنسان للتركيز على "جودة العمل" (البلاغ) وترك "النتائج" (الحساب) للخالق، مما

يقلل من الاحتراق النفسي والإحباط عند تأخر النجاح.

- أصله: قوله (فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب)؛ وهذا يحرر الطاقات البشرية للعمل الخالص دون ارتهان بمظاهر النصر المادية، مما يضمن استمرارية المشاريع الحضارية عبر الأجيال.

٢. بُعد التغيير الجيو-حضاري (سنة النقصان)

- حقيقته: إدراك أن القوة والمكانة ليستا ثابتتين، بل هما في حالة حركة دائمة (نقص وزيادة) بناءً على معايير الحق والعدل.

- أصله: قوله (نأتي الأرض ننقصها من أطرافها)؛ وهذا يحفز الأمم على المراجعة الدائمة لمواطن ضعفها وقوتها، وعدم الركون للامتداد الجغرافي إذا فقدت مقومات البقاء الأخلاقي.

٣. بُعد الشفافية والمسؤولية (علم الكسب)

- حقيقته: بناء وعي جمعي بأن كل حركة وتدبير (مكر) مكشوفة تماماً للنظام الرقابي الإلهي، مما يؤسس لمجتمع "النزاهة الباطنية".

- أصله: قوله (يعلم ما تكسب كل نفس)؛ وهذا يمنع التستر وراء القوانين الوضعية لارتكاب المظالم، ويجعل المسؤولية الفردية هي الضمانة الأولى لاستقامة النظام العام.

٤. بُعد المرجعية العلمية (شهادة أهل الكتاب)

- حقيقته: تقدير قيمة "العلم" والعلماء (من عنده علم الكتاب) كشهود على الحقائق الكبرى، وربط الدين بالمعرفة التراكمية للبشرية.

- أصله: قوله (ومن عنده علم الكتاب)؛ وهذا يرسخ احترام التخصص والمعرفة، ويجعل "البرهان العلمي" ركيزة أساسية في تصديق الدعوات وبناء القناعات الحضارية.

٥. بُعد اليقين بالعاقبة (طمأنينة المصير)

- حقيقته: غرس الشعور بالأمان في قلب صاحب الحق، بأن "عقبى الدار" ستكون له مهما بلغت الضغوط والتكذيب الراهن.

- أصله: قوله (وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار)؛ وهذا يمنح المجتمعات المؤمنة بالقيم قدرة هائلة على الصمود (Resilience) وتجاوز الأزمات الحادة، لأنها تنظر للغايات البعيدة ولا تنحبس في الصراعات الآنية.

بيانُ القرآنِ في سورةِ الرعدِ

انور غني الموسوي

دار اقواس للنشر 2026

منهج البيان القرآني الذاتي بالخماسية النسقية

يُمثل منهج البيان القرآني الذاتي بالخماسية النسقية استراتيجية استنطاقية وإبستيمولوجية متكاملة، تهدف إلى إعادة الاعتبار لسيادة النص القرآني وتجلية مقاصده من داخله حصراً.

دار أقواس للنشر